كلية أصول الدين بالقاهرة

قسم الدعوة الإسلامية

من الانحرافات الخلقية في الكتاب المقدس عندهم

عرض ونقد

إعداد

د/ حسين حامد عمر الديب

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين – القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المتفرد بالكمال، القائم على كل نفس بما كسبت والمجازي لها بما عملت عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، تنزه عن الصاحبة والولد والشبيه والمثال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الشفاعة العظمى في يوم لا بيع فيه ولا خلال، وعلى جميع الصحب والآل، ومن سار على النهج والمنوال، صلاة وسلاما دائمين أكملين إلى يوم المآل.

أما بعد

فإن الاطلاع على ثقافة الغير بعموم مما لابد منه في أي زمن من الأزمنة، ناهيك عن هذا الزمن الذي تقارب فيه البعيد، وطويت فيه المسافات، مما لا يخفى على أحد، وأخص ما في ثقافة قوم هو ما يدينون به، وأخص ما في الدين ذلك الكتاب الذي هو عمدة هذا الدين ومرجعه ومصدره، والاطلاع لذاته أمر مرغوب فيه ليمتاز الخبيث من الطيب، ويستبين الحق والباطل، ويظهر خطأ القول من صوابه، وقد جاء بيان ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ " (١)

وقد يتحتم البحث عندما يأبى الغير إلا الطعن والتجريح، وتلفيق الأكاذيب وإثارة الشبهات حول دين الإسلام ورسوله وكتابه، وهذا لعمر الله العجب فبدلا من أن يلزم هؤلاء جحورهم، ويتواروا خجلا من كتب يدعون قداستها، راحوا يتطاولون على السحاب، وينطحون بقرونهم الواهيات الجبال الراسيات، وهيهات هيهات..

كناطح صخرةً يوماً ليوهنها .... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل *

١- سورة الأنعام الآية: ٥٥.

* هذا البيت للأعشى ذكره الثعالبي في التمثيل والمحاضرة ١٥/١.

وأهل الكتاب من اليهود والنصارى هم أولئك الغير الذين أعنيهم،أما والحالة هذه فلابد مما منه بد، فرأيت أن أسطر بقلمي بعضا من الانحرافات الخلقية التي وردت في كتابهم المقدس مما لا يحتمل التأويل، ولا يقبل إلا التسليم، وهذا من منطلق الدفاع عن ديني وعقيدتي لأنه من المعلوم أن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع، وقد عنونت لهذا البحث بـــــ :

من الانحرافات الخلقية في الكتاب المقدس عندهم عرض ونقد

وقد ضمنته مقدمة وتمهيدا وثلاثة فصول وخاتمة وثبت بأهم المراجع الواردة في ثنايا البحث، وأنا في ذلك لا أدعي سبقا فيما آتي به، وإنما أنا اقتفي أثر علماء أجلاء منهم من قضى نحبه – رحمهم الله – ومنهم من ينتظر – بارك الله في عمرهم ونفعنا بعلمهم

فأقول والله المستعان وعليه التكلان:

تمهيـــــد

إن الهجوم المحموم على الإسلام في هذا العصر أشد من أي عصر مضى، لتقدم العلوم الحديثة، وكثرة المخترعات التي تعنى بالاتصالات، من جوالات محمولة، وقنوات فضائية، وشبكات الإنترنت... إلخ

وأذكر في لمحة يسيرة في هذا التمهيد نبذة مختصرة عن أمور ثلاثة هي كالتالي:

أولا: أهم دواعي الهجوم الشديد على الإسلام اليوم.

ثانيا: تعريف بالكتاب المقدس عندهم.

ثالثا: مشروعية النظر في الكتاب المقدس عندهم.

أولا: أهم دواعي الهجوم الشديد على الإسلام اليوم

كثيرة هي الدواعي والأسباب التي تدفع بالخصوم إلى محاولة النيل من الإسلام ويأتي في مقدمتها:

١- **الحسد الكامن في هذه النفوس الخبيثة يتوارثونه جيلا بعد جيل لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.**

فلأن أهل الكتاب ساءهم أن يكون النبي الخاتم من ولد إسماعيل جد العرب عليه السلام ولم يكن من ولد إسحق جد بني إسرائيل عليه السلام، وطالما كانوا ينتظرون مبعثه، بل كانوا يستفتحون به على الوثنيين من سكان الجزيرة العربية " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ " (١)

ولم يقتصر حسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده بل تعداه إلى أتباعه

١- سورة البقرة الآيتان: ٨٩، ٩٠.

فتمنوا زوال هذه النعمة عنهم، وعودتهم كفارا لتتساوى الرؤوس في الكفر، وقد سطر القرآن ذلك في غير ما موضع فقال تعالى:

" وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ " (١)

وقال سبحانه: " وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا " (٢)

وهذا سبب رئيس وداء أصيل عند القوم لا يبغون عنه حولا، ولا يرومون به بدلا فلا أمل في الشفاء، ولا طمع في التغيير إلا بإيمانهم واتباعهم الحق، أو بتخلي المؤمنين عن الحق الذي معهم ومسالأة أهل الكتاب على باطلهم وفي ذلك يقول الله تعالى: " وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ " (٣)

٢- الإقبال المستمر على الإسلام :

عجب أمر هذا الدين ففي الوقت الذي تتزايد الهجمات عليه، ويتكالب الأعداء جميعا على مناوئته حتى أصبح أعداء الأمس رفقاء اليوم ليجمعوا فلولهم وينشبوا أظفارهم في جسد هذه الأمة المتهالك، أو الذي يبدو هكذا، فبرأ الفاتيكان اليهود من دم المسيح وأحلوهم من اللعنات التي كانت تصب فوق رؤوسهم صباح مساء متناسين بذلك تاريخا طويلا قارب الألفي عام.

أقول في مثل هذه الظروف العصيبة التي يمر بها الإسلام وأهله ترى أفواجا من الداخلين في الإسلام عن طواعية واقتناع دونما شبهة من ضغط أو إكراه أو إغراء

١- سورة البقرة من الآية: ١٠٩.
٢- سورة النساء الآية: ٨٩.
٣- سورة البقرة الآية: ١٢٠.

ويمثل هؤلاء كل شرائح المجتمعات عموما شرقا وغربا فقراء وأغنياء..علماء وساسة..قسس ورهبان ورجال كهنوت.

في ذات الوقت الذي تبذل فيه الأموال الطائلة والجهود الجبارة من أجل كسب شخص واحد إلى مملكة المسيح والإيمان باللامعقول طوعا وكرها، ترغيبا وترهيبا.

وكان مقتضى العقل يحتم على أولئك الموتورين أن يدخلوا فيما دخل فيه علماؤهم وأحبارهم ورهبانهم قديما وحديثا ويحمدوا الله على أن عافاهم من هذه التخاريف التي يعدونها دينا، ولكن.. غلبة التعصب مصحوبا بالعصابة السوداء الموضوعة على الأعين مضافا إلى ذلك الجهل المركب الذي لا ينفك عنهم ولا ينفكون عنه، جعلهم يتخبطون يمنة ويسرة يلقون بالاتهامات جزافا حيثما اتفق.

٣- حالة الضعف الشديد والانقسام الرهيب التي تحياها الأمة الإسلامية اليوم مما أطمع فيها الضعيف والقوي على حد سواء ، ومما لا يختلف عليه اثنان، أنه في غياب الحق، أو غفلته ينتفش الباطل، وتقوى شوكته، وتبرز مخالبه، والعتب في ذلك ليس على أهل الباطل، فهم قوم حددوا غاياتاهم ووضعوا بدقة الوسائل والأساليب التي يصلون بها إليها، بقطع النظر عن مشروعية هذه الغايات والوسائل والأساليب، مع انعدام حجتهم ،

وإنما العتب واللوم والمساءلة لأهل الحق وأتباعه الذين تنحوا عن واجبهم، انشغلوا بمسائل فرعية، قد لا تقدم ولا تؤخر، فترى العالم الفلاني يمضي الساعات الطوال في مكتبته ليحرر مسألة فرعية من مسائل الفقه مثلا ليس لها في واقع الأمة اليوم وجود، وذاك مشغول بتحرير الرد عليه، ويشغلون بهذا أنفسهم والمسلمين، بينما أهل الضلال يعملون بجهد لا يعرف الكلل، على خطين متوازيين:

انتقاص أرض المسلمين من أطرافها، وإن شئت فقل من أعماقها، وبث الشبهات والشكوك حول الإسلام.

ثانيا: تعريف بالكتاب المقدس عندهم

يطلق لفظ الكتاب المقدس ويراد به مجموع أسفار العهدين القديم والجديد معا، ويؤمن النصارى بهما معا معتمدين في ذلك على بشارات وردت في العهد القديم، أنزلوها بدورهم على المسيح،ومعتمدين كذلك على نص في إنجيل متى يقول فيه المسيح إنه لم يأت ناقضا لأحكام التوراة، وإنما جاء مكملا [١]

بينما لا يؤمن اليهود إلا بالعهد القديم فقط ولا يعترفون بالعهد الجديد لا من قريب ولا من بعيد، بل يقولون في المسيح وأمه قولا عظيما، فيصفونه بأنه ابن غير شرعي، وأنه وأمه في لجات الجحيم بين القار والقطران * [٢] فضلا عن النهاية الأليمة البشعة التي لاقاها المسيح على أيديهم (حسب معتقد النصارى).

" فأما العهد القديم الذي هو القسم الأول من كتابهم المقدس ــ فى زعمهم ــ فيحتوي الآن على تسعة وثلاثين سفرا فيما يلي أسماؤها:

١ – سفر التكوين (سفر الخليقة) ٢ – سفر الخروج.

٣ – سفر الأحبار (سفر اللاويين). ٤ – سفر العدد ٥– سفر التثنية.

ومجموع هذه الأسفار (الكتب) الخمسة هو ما يطلقون عليه اسم أسفار موسى الخمسة وتسمى بـــ (التوراة)، وهي كلمة عبرية بمعنى القانون والتعليم والشريعة، لكنهم الآن يطلقون التوراة إطلاقا مجازيا على مجموع كتب العهد القديم، أي على أسفار موسى الخمسة (التوراة) وملحقاتها الآتي ذكرها:

٦ – سفر يشوع (يوشع بن نون). ٧ – سفر القضاة ٨– سفر راعوث.

٩ – سفر صموئيل الأول ١٠ – سفر صموئيل الثاني. ١١ – سفر الملوك الأول

١٢ – سفر الملوك الثاني. ١٣ – سفر أخبار الأيام الأول.

١– متى ١٨/٥. *ا لقيرُ والقارُ لغتان وهو صُعُدٌ يذابُ فيُستَخرَجُ منه القارُ وهو شيء أسود تطلى به الإبل والسفن وقيل هو الزِّفت وصاحبه قَيَّارٌ. (القطران) عصارة شجر الأرز والأبهل تطبخ ثم تطلى بها الإبل وفي التنزيل العزيز) سرابيلهم من قطران (لأنه شديد الاشتعال ومادة سوداء لسان العرب ــ ابن منظور ــ ١٢٤/٥: دار صادر – بيروت

٢– المسيح المنتظر وتعاليم التلمود تأليف الدكتور محمد علي البار طبعة الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـــ (١٩٨٧م) ص ٥.

٣– الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ــ د/ على عبدالواحد وافى ص ١٣ــ ١٦ــ ط نهضة مصر – ط ثانية ٢٠٠١م. فالشيخ رحمة الله الهندى جعلها (٣٨) لأنه يسقط سفر (أستيرا).

١٤ – سفر أخبار الأيام الثاني. ١٥ – سفر عزرا الأول.

١٦ – سفر عزرا الثاني (سفر نحميا). ١٧ – سفر أستير[١]. ١٨ – سفر أيوب.

١٩– سفر الزبور (المزامير). ٢٠ – سفر الأمثال (أمثال سليمان).

٢١ – سفر الجامعة ٢٢ – سفر نشيد الأنشاد. ٢٣ – سفر إشعياء.

٢٤ – سفر إرميا ٢٥ – سفر مراثي إرميا. ٢٦ – سفر حزقيال.

٢٧ – سفر دانيال. ٢٨– سفر هوشع. ٢٩– سفر يوئيل.

٣٠ – سفر عاموس. ٣١ – سفر عوبديا ٣٢ – سفر يونان (يونس).

٣٣ – سفر ميخا. ٣٤– سفر ناحوم. ٣٥– سفر حبقوق.

٣٦ – سفر صفنيا ٣٧ – سفر حجي. ٣٨ – سفر زكريا.

٣٩ – سفر ملاخي. وكان النبي ملاخي قبل ميلاد المسيح عليهما السلام بنحو أربعمائة وعشرين (٤٢٠) سنة.[١]

والسامريون لا يعترفون إلا بسبعة منها: الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام وبسفري يشوع والقضاة، وتخالف نسخة التوراة السامرية نسخة التوراة العبرانية التي لليهود، وهما تخالفان نسخة التوراة اليونانية، وتوجد في نسخة التوراة اليونانية سبعة أسفار زائدة عما في التوراة العبرانية يطلق عليها: أسفار الأبوكريفا * وأسماؤها كما يلي:

١ – سفر باروخ. ٢ – سفر طوبيا. ٣– سفر يهوديت.

٤ – سفر وزدم (حكمة سليمان). ٥ – سفر إيكليزيا ستيكس (يشوع بن سيراخ).

٦ – سفر المكابيين الأول. ٧ – سفر المكابيين الثاني.

وبذا تكون التوراة اليونانية محتوية على ستة وأربعين سفرا.

وأما العهد الجديد الذي هو القسم الثاني من كتابهم المقدس فيحتوي الآن على سبعة وعشرين سفرا فيما يلي أسماؤها:

١ – إنجيل متى. ٢ – إنجيل مرقس. ٣– إنجيل لوقا ٤– إنجيل يوحنا.

---

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ــ د/ على عبدالواحد وافى ص ٦٣ــ ط نهضة مصر ــ ط ثانية ٢٠٠١م. * أسفار الأبوكريفا: هي تلك الأسفار المشكوك في صحتها.

٥ – سفر أعمال الرسل (الإبركسيس). ٦– رسالة بولس إلى أهل رومية.
٧ – رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس.
٨– رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس.
٩ – رسالة بولس إلى أهل غلاطية. ١٠ – رسالة بولس إلى أهل أفسس.
١١ – رسالة بولس إلى أهل فيلبي. ١٢ – رسالة بولس إلى أهل كولوسي.
١٣ – رسالة بولس الأول إلى أهل تسالونيكي.
١٤ – رسالة بولس الثاني إلى أهل تسالونيكي.
١٥ – رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس.
١٦ – رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس.
١٧ – رسالة بولس إلى تيطس. ١٨ – رسالة بولس إلى فليمون.
١٩ – الرسالة إلى العبرانيين (وتنسب إلى بولس).
٢٠ – رسالة يعقوب. ٢١ – رسالة بطرس الأولى.
٢٢ – رسالة بطرس الثانية. ٢٣ – رسالة يوحنا الأولى.
٢٤ – رسالة يوحنا الثانية. ٢٥ – رسالة يوحنا الثالثة.
٢٦– رسالة يهوذا. ٢٧ – رؤيا يوحنا اللاهوتي (المشاهدات).

وبهذا يكون مجموع أسفار الكتاب المقدس عند النصارى كما يأتي:

على حسب التوراة العبرانية:

العهد القديم (٣٩) + العهد الجديد (٢٧) = ٦٦ سفرا.

وعلى حسب التوراة اليونانية:

العهد القديم (٤٦) + العهد الجديد (٢٧) = ٧٣ سفرا.[١]

اعلم أنه قد انعقد مجمع لعلماء النصارى بأمر السلطان قسطنطين الأول سنة (٣٢٥م) في بلدة نائس (نيقية)* لإصدار حكم في الأسفار المشكوكة، فحكم هذا المجمع بعد المشاورة والتحقيق بوجوب تسليم سفر يهوديت فقط، وبرفض أربعة عشر (١٤) سفرا واعتبارها مشكوكة ومكذوبة لا يجوز التسليم بصحتها، وهي:

(١) الأسفار المقدسة ــ د/ على عبدالواحد وافى ص ٦٣ وما بعدها.

١ – سفر أستير. ٢ – رسالة يعقوب. ٣– رسالة بطرس الثانية.
٤ – رسالة يوحنا الثانية. ٥– رسالة يوحنا الثالثة. ٦– رسالة يهوذا.
٧ – الرسالة إلى العبرانيين (وتنسب إلى بولس).
٨ – سفر وزدم (حكمة سليمان). ٩ – سفر طوبيا.
١٠ – سفر باروخ.
١١ – سفر إيكليزيا ستيكس (يشوع بن سيراخ).
١٢ – سفر المكابيين الأول. ١٣ – سفر المكابيين الثاني.[١]
١٤ – سفر مشاهدات يوحنا (رؤيا يوحنا اللاهوتي). ويظهر ذلك جليا من المقدمة التي كتبها جيروم (المتوفى سنة ٤٢٠م) على سفر يهوديت.

وبعد تسع وثلاثين سنة فقط انعقد مجمع لعلماء النصارى سنة (٣٦٤م) في بلدة لوديسيا (لاودكية) * * وحكم هذا المجمع بوجوب التسليم بالأسفار السبعة الأولى (انظرها من رقم ١–٧) من الأسفار التي رفضها مجمع نيقية، واعتبار هذه السبعة صحيحة غير مكذوبة، وإبقاء السبعة الأخرى (انظرها من رقم ٨– ١٤)

(١) المرجع السابق نفس الصفحات.

* نِيقِيه: بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر القاف وياء خفيفة. ": مدينة أنيقية هكذا ذكرها بالألف..سكانها جُفاة ليس لمن يسكنها خلاق.. قال ابن الهروي مدينة نيقية من أعمال اصطنبول وهي المدينة التي اجتمع بها آباءُ الملة المسيحية وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر أباً يزعمون أن المسيح عليه السلام كان معهم في هذا المجمع وهو أول المجامع لهذه الملة وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم وصُوَرُهم وصورة كراسيهم بهذه المدينة في بيعتها ولهم فيها اعتقاد عظيم انظر معجم البلدان لياقوت الحموي باب النون والياء ٢٦٦/٤.

* * لاودكية: مدينة في آسيا الصغرى في وادي نهر ليكوس أحد روافد نهر ميائدر، في ولاية فريجية. وكان مدخل المدينة الغربي يسمى بوابة أفسس، والمدخل الشرقي كان يسمى البوابة السورية التي كان يمر بها الطريق الرئيسي إلى أنطاكية وغيرها من بلاد النهرين. وكانت فيها إحدى الكنائس السبع التي أمر الرب يوحنا الرائي أن يكتب إليها (رؤ ١: ١١). وتمييزاً لها عن غيرها من المدن العديدة التي أطلق عليها اسم "لاودكية"، كانت تسمى "لاودكية وادي ليكوس"، وقد أسسها الملك أنطيوكس الثاني (٢٦١ – ٢٤٦ ق. م.) ملك سورية وأطلق عليها اسم زوجته "لاودوكي" انظر دائرة المعارف الكتابية، حرف اللام.

مشكوكة مكذوبة لا يجوز التسليم بصحتها، وأكد المجمع هذا الحكم بالرسالة العامة.

وبعد ثلاث وثلاثين سنة فقط انعقد مجمع لعلماء النصارى سنة (٣٩٧م) في بلدة كارتهيج (قرطاجة، قرطاجنة الواقعة على خليج تونس) *، وحكم هذا المجمع بوجوب التسليم بالأسفار السبعة الأخرى (انظرها من رقم ٨ - ١٤) التي رفضها المجمعان السابقان واعتبراها مكذوبة ومشكوكة لا يجوز التسليم بصحتها، فهذا المجمع القرطاجي نقض حكم سابقيه، وحكم بأن جميع الأسفار المشكوكة المكذوبة هي صحيحة واجبة التسليم ومقبولة عند جمهور النصارى[١]

وبقي الأمر على هذا التسليم والقبول مدة اثني عشر قرنا إلى أن ظهرت فرقة البروتستانت ** في أواسط القرن السادس عشر الميلادي، " فرفضت هذه الفرقة سفر يهوديت وسفر وزدم وسفر طوبيا وسفر باروخ وسفر إيكليزيا ستيكس وسفري المكابيين الأول والثاني، وكان سفر أستير ستة عشر (١٦) بابا (أصحاحا)، فقبلت

* قُرطاجَنة: بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وجيم ونون مشددة وقيل إن اسم هذه المدينة قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها: بلد قديم من نواحي إفريقية وقرطاجنة: مدينة أخرى بالأندلس تعرف بقرطاجنة الحلفاء قريبة من ألش من أعمال تدمير خربت أيضاً لأن ماء البحر استولى على أكثرها فبقي منها طائفة وبها إلى الآن قوم وكانت عُملت على مثال قرطاجنة التي بافريقية.(وهي المرادة هنا) انظر ياقوت: باب القاف والتاء ٣٧٨/٣.

* * البروتستانت: ويتبعون الكنيسة البروتستانتية -التي أسسها (مارتن لوثر) في القرن السادس عشر الميلادي وأتباعها في أوربا وأمريكا الشمالية وهي أخف الفرق النصرانية تقديساً لرجال الكنيسة ولا تعتقد لهم حق الغفران، ولا تقدس أقوالهم. وتفسيرها للتثليث أخف في وثنيته من الفرقتين الأوليين، وكانت في نشأتها أميل للتوحيد -متأثرة بالمسلمين- لكنها لم تصمد أمام الضغط النصراني فانغمست بالكفر والشرك. ولا تختلف الكنائس البروتستانتية عن باقي الكنائس النصرانية سواء في الإيمان بإله واحد مثلث الأقانيم الأب والابن والروح القدس تثليث في وحدة، أو وحدة في تثليث، حسب افترائهم.أو في الإيمان في عقيدة الصلب والفداء وتقديس الصليب.وكانت لحركات الإصلاح البروتستانتية الأثر الكبير في كشف عورات الكنيسة الكاثوليكية، وفي فضح سلوك القائمين عليها. كما أنها أفسحت المجال أمام العلماء والمفكرين وعامة المؤمنين بالكنيسة في حق فهم الكتاب المقدس.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص ٤٢١.

(١) انظر محاضرات فى النصرانية ــ الإمام / محمد أبوزهرة ــ ص ١١٠ ــ ١٣٧ ــ ط دار الفكر العربى القاهرة.

منه هذه الفرقة البروتستانتية الإصحاحات التسعة الأولى إلى نهاية الفقرة الثالثة من الإصحاح العاشر، ورفضت منه من الفقرة الرابعة إلى نهاية الإصحاح السادس عشر واحتجت هذه الفرقة في رفضها الأسفار السابقة بما يلي:

١ - أن الأصل العبراني لهذه الأسفار مفقود، والموجود هو ترجمة لها.

٢- أن اليهود العبرانيين لا يعترفون بهذه الأسفار (أسفار أبوكريفا العهد القديم).

٣ - أن هذه الأسفار مرفوضة من قبل كثير من النصارى ولم يحصل الإجماع على قبولها

٤ - أن جيروم (المتوفى ٤٢٠م) قال بأن هذه الأسفار ليست كافية لتقرير المسائل الدينية وإثباتها.

٥ - أن كلوس صرح بأن هذه الأسفار لا تقرأ في كل موضع منها.

٦ - أن المؤرخ يوسي بيس صرح بأن هذه الأسفار محرفة ولا سيما سفر المكابيين الثاني.

فانظر إلى الكتب التي أجمع على رفضها ألوف الأسلاف ؛ لفقدان أصولها وتحريفها، وكانت مردودة عند اليهود وفاقدة لصفة الوحي والإلهام، صارت عند الخلف إلهامية مقبولة وواجبة التسليم، وفرقة الكاثوليك * إلى الآن تسلم بجميع كتب الأبوكريفا المشكوكة المكذوبة، سواء منها أبوكريفا العهد القديم أو أبوكريفا العهد الجديد، تقليدا لمجمع كارتهيج (قرطاجة).

فأي قيمة لحكم الخلف بقبول ما رفضه السلف ؟! بل إن حكم تلك المجامع يعد حجة قوية لخصوم النصارى الطاعنين في صحة كتبه وإلهاميتها." [١]

* الكاثوليك ويطلق عليهم الملكانية أو الملكية سموا كذلك لأنهم أيدوا القرار الذي نصره قسطنطين في المجمع الذي جمعه، وقيل لأنهم أيدوا القرار الذي اتخذه مجمع خلكدونية عام ٤٥١م ضد بدعة أوطيخا المونوفيزية، القائلة بطبيعة واحدة للمسيح، فلقبهم مخالفوهم بالملكيين لوقوفهم في صف مرقيانوس الذي كان يعاضد المجمع.

وكلا القولين مؤداه أن هذه الفرقة تابعت القول الذي نصره الملوك فنسبوا إلى ذلك. قال ابن حزم في الفصل (١١٠/١): (هو مذهب جميع ملوك النصارى حاشا الحبشة والنوبة، وقولهم إن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أشياء: أب وابن وروح قدس، وأن عيسى إله تام كله وإنسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر. وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك.وأن مريم ولدت الإله والإنسان)

١- إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي بتحقيق د. محمد أحمد ملكاوي ١/ ٩٩.

ثالثا: مشروعية النظر في الكتاب المقدس عندهم

يتوقف البعض حيال هذه المسألة فيرى أنها شائكة إلى حد ما، بل قد يجنح إلى القول بمنع ذلك على إطلاقه، والعمدة في ذلك ما ورد في السنة عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله – يعني ابن ثابت –: فقلت: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً قال: فسري عن رسول الله ﷺ قال: "والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم،إنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين "[1]

ويمكن أن يجاب عن هذا الحديث أن هذا كان في بداية العهد المدني، فخشي النبي ﷺ على أصحابه من اختلاطهم باليهود، وأيضا فقد كان مقصد عمر رضي الله عنه الاستزادة بما في أيدي اليهود ويدل على ذلك أن عمر بن الخطاب، ﷺ وذكر قصة قال فيها: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثم جئت به أديم فقال لي رسول الله ﷺ: ما هذا الذي في يدك يا عمر؟" قال: قلت: يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا،فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه،ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الأنصار: أغضب نبيكم ﷺ؟ السلاح السلاح،فجاؤوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصاراً،ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون" (المتهوكون: المتحيرون). والتهوك أيضاً مثل التهور وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة. قاله الجوهري) قال عمر رضى الله عنه: فقمت فقلت: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبك رسولاً ثم نزل رسول الله ﷺ. [2]

١- مجمع الزوائد للهيثمي ١/٢١٢ رقم الحديث: ٨٠٦. رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابراً الجعفي وهو ضعيف.

٢- السابق ١/ ٢١٢ رقم الحديث:٨٠٥. رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن إسحاق ضعفه أحمد وجماعة.

فالمنهي عنه هو محاولة الاستزادة من علم أهل الكتاب، أما الاطلاع من أجل رد الشبهات، ومعرفة مواطن التحريف في الكتاب المقدس مما يلزم مجادلة أهل الكتاب وهي لا ريب ثابتة بنص القرآن الكريم في قوله تعالى:

" وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " [1]

" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " [2]

ولا تتأتى هذه المجادلة إلا بمعرفة ما يعتقده الغير، فليس من المعقول أن أجادله بما أعتقده أنا لأنه لا يلزمه، ولكن بما يعتقده هو وإن كنت لا أومن به، وأهل الكتاب يعمدون إلى مطالعة نصوص القرآن أو السنة ويحاولون بجهلهم تشكيك الدهماء من المسلمين في دينهم،

وقد تكون معرفة الباطل حاجة ملحة تصل إلى حد الفرض الكفائي على علماء المسلمين، لدحض أباطيل المبطلين، وكبت أبواق الكافرين، والقاعدة الأصولية في ذلك أنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه:

تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

وبقي أن تعلم أن نظرة الإسلام إلى الكتاب المقدس عندهم هي نظرة موضوعية تتنزه عن الافتئات أو الجور، وتتسم بالحيادية التامة، شأن كل القضايا التي يعالجها الإسلام، وقد نهى الله تعالى المؤمنين أن ينساقوا وراء عواطفهم فيقعوا في ظلم الغير فقال سبحانه: "وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا" [3]، وقال أيضا: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى "[4]

وفى هذه العجالة أتناول بعض الدلائل الدالة على تحريف هذا الكتاب وأخص ذلك بالذكر فيما يلى:

١- سورة العنكبوت الآية: ٤٦.

٢- سورة النحل الآية: ١٢٥.

٣- سورة المائدة من الآية: ٢.

٤- سورة المائدة من الآية: ٨.

الفصل الأول: شرب الخمر في الكتاب المقدس عندهم

لا يمكن أن يسلم عاقل بأن هناك قانونا وضعيا قام على وضعه العقلاء يبيح تعاطي الخمور والمسكرات، لما لها من أثر لا يخفى، حيث إنها مفتاح كل رذيلة، لتغييبها العقل الذي هو ميزة الإنسان عن الحيوان، ولذلك وجدنا كثيرا من العقلاء يحرمها على نفسه دون انتظار لشريعة أو قانون معربا عن سبب ذلك بمنطق وجيه، وحجة بالغة: فقد أجاب الصديق من سأله هل شربت الخمر في الجاهلية ؟ بقوله: أعوذ بالله، فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيّعاً لعرضه ومروءته " (١)

أما صيانة العرض فهو أمر جلي، فإن السكران لا يميز بين امرأته ومحارمه، فلربما يواقع أمه أو ابنته أو.... لغياب عقله وحضور شهوته، ولن يجدي الندم بعد ذلك. وأما حفظ المروءة فلأن السكران يكون مضحكة الناس، ويجترئ عليه الصبيان والسفهاء، لما يصدر عنه من أمور لا إرادية، وقد يكون من وجوه الناس، ومحط أنظارهم، وموضع تقديرهم، فيسقط كل هذا ويتلاشى في أثناء السكر.

وكم ذا أنفقت الدول الغربية في العصر الحديث من أموال طائلة، وبذلت من جهود جبارة للحد من تعاطي الخمور، بل وسنت من القوانين ما يحول دون ذلك، لما ينتج عنها من أضرار، وما يرتكب من خلالها من جرائم يشيب لها الولدان.

أقول: إذا كان هذا شأن القوانين الوضعية التي يقوم عليها البشر، أنها لا تقر الخمر ولا ترضى بها، فكيف بشريعة يفترض أنها من الله خالق البشر، وهو أعلم بما يصلحهم وما يفسدهم، فيراعي في تشريعاته لهم ما ينفعهم ولا يضرهم، ويسن لهم ما يقوم اعوجاجهم.... هذا هو الأصل

ثم إن هذه الشريعة قد تضمنها كتاب هو أيضا منسوب إلى الله، وأنه تكلم به وأوحاه إلى أنبيائه وبالتالي فهو كلمة الله فهو إذن كتاب مقدس، يتعبد الناس بتلاوته، ويأخذون منه العبرة... وأيضا هذا هو الأصل.

١- الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ١/ ٩٤.

ثم يترجم الأنبياء عليهم السلام هذه التعاليم وهذه الشرائع ترجمة عملية، لأنهم موطن التأسي والقدوة لأقوامهم، وهم يقينا الصفوة المنتقاة المختارة من بين الناس، على آثارهم يقتدون، وعلى نهجهم يسيرون... وأيضا هذا هو الأصل.

لكن الناظر المتأمل فيما بأيدي القوم من كتب يدرسونها يخلعون عليها خلعة القداسة، وينعتونها بأوصاف الكمال، لا يعوزه طويل وقت حتى يتبين له ما يعيش فيه القوم من أوهام، وما يتخبطون فيه من ضلال، وما تعج به هذه الكتب من قصص هي من نسج الخيال، وليس هذا اتهام ببهتان، ولا تقول بغير سلطان، وإنما هو قول ببرهان، وهاك الدليل يتبعه الدليل، مما يزعمون أنه من محكم التنزيل، والمثال يتلوه المثال، وكما قيل فإن بالمثال يتضح الحال وذلك من خلال المباحث التالية:

* * *

المبحث الأول: نسبة السكر والعري لنوح بشرب الخمر

ونوح هذا وصفه الكتاب المقدس بأنه رجل بار حافظا لوصايا الرب، وهو كذلك، يقول في سفر التكوين:

" كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله " [١]

بيد أن الأمر لم يسلم من الطعن القاتل في مواطن أخرى حيث جعله الكتاب المقدس رجلا سكيرا عربيدا سفيها عاريا لعانا سبابا،

جاء في سفر التكوين ما نصه: " وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما و حاما ويافث وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض. وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما.

وشرب من الخمر فسكر و تعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا.

فأخذ سام ويافث الرداء و وضعاه على أكتافهما و مشيا إلى الوراء و سترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته.

وقال مبارك الرب إله سام و ليكن كنعان عبدا لهم .

ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم " [٢]

إلى هنا وانتهى هذا الفاصل من هذه القصة الهزلية التي كان بطلها نبي مرسل من عند الله لهداية البشر، ولست هنا في مجال المقارنة بين نوح عليه السلام كما يصفه القرآن الكريم وكما صوره كتبة العهد القديم، أو مجاراة مع اعتقاد الخصوم ما يعرف بالكتاب المقدس، وإنما التركيز هنا على موقف العقلاء من الناس فضلا عن رجال الدين من العلماء من هذا المشهد.

١- سفر التكوين ص ٦ ف٩.

٢- سفر التكوين ص٩ ف٢٣ - ٢٨.

كيف ينظر إليه أرباب هذه الديانة ؟ وهل من مبررات أو سفسطات فارغة يستطيعون أن يوضحوا من خلالها لأجيالهم ورعاياهم شرب نوح الخمر ؟

هل يستطيع أب روحي - كما يطلقون على أنفسهم - أن يجيب على تساؤلات أبنائه عن مدى مشروعية شرب الخمر ؟

وهل إذا أجابهم بالنفي يمكن أن يمحو من مخيلتهم ذاك المشهد المقزز لهذا النبي القدوة السكير العربيد العريان ؟

وهل لو قد فعل ذلك يستطيع أن يمحو من الكتاب المقدس هذه الصورة التي هي مثار اشمئزاز العقلاء من الناس على اختلاف طوائفهم، وتعدد مشاربهم، أم أن التحريف بالزيادة والنقصان لن يعوزهم فهم بارعون في هذا الباب ؟

وما حجتك وما موقفك من ابنك الذي دخلت عليه فوجدته في مثل حالة هذا النبي؟

وما جوابك عليه وهو يرميك بهذا النص في وجهك قائلا لك إني لست أفضل حالا من الأنبياء، ولا أشد التزاما من نوح، ولا أعلى رتبة ومقاما منه ؟

ولن تعوزك - أخي القارئ - البصيرة لتدرك مدى النشاز من تكرار لفظ العورة، وما يتركه من أثر سيء على النفس من مشهد رجل هو نبي ورسول وهو أيضا مكشوف العورة لأجل سكره.

ولم يذكر لنا النص التوراتي أن نوحا شرب الخمر ناسيا مثلا، أو أنه تاب بعد ذلك إلى الله وأناب، أو أن الله عاقبه أو حتى عاتبه على صنيعه هذا.

إنما كل ما عني به وأكد عليه هو ذاك السيل المنهمر من اللعنات على شخص لم يكن له ذكر في القصة بل لم يولد بعد، مع ما في ذلك من منافاة لنصوص أخرى وردت في ثنايا الكتاب المقدس توضح أن كل نفس تجزى بما تعمل، ولا تحمل من أوزار الغير شيئا، وما لها من حسناتهم من نصيب، ومن ذلك ما جاء في سفر حزقيال:

" النفس التي تخطئ هي تموت الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون "[١]

وورد في سفر إرميا:

" في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرما وأسنان الأبناء ضرست . بل كل واحد يموت بذنبه كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه " [٢]

لعل كاتب النص الذي سكر فيه نوح قد نسي هذه النصوص في زحمة تصانيفه وتأليفه وعادة أهل الكذب النسيان ؟

أو لعل نفسه الخبيثة اشتاقت إلى الخمر فشرب وأغرب في السكر وهو يسطر بيمينه سكر نوح !! فإن الشيء بالشيء يذكر ؟

أم أن أهل الكتاب لا يزالون يصرون على أن هذه الأساطير مقدسة إلهية ؟ فيكون العتب إذن على نوح الذي استشاط غضبا على حفيده الغائب فحكم عليه أن يعيش تعسا شقيا يرزح تحت نير العبودية لغيره لا لجرم اجتناه، ولا لذنب كسبته يداه، إنما قدره أن يكون حفيدا لجد أرعن لا يكاد يستفيق من شرب الخمر !!

بدلا من أن يدعو إلى مكارم الأخلاق بأقواله وأفعاله، صار مثلا سيئا وقدوة خبيثة في ارتكاب المحظور من الأفعال ، والشائن من الأعمال، متناسيا ما من أجله بعث، لاهثا وراء نزواته وشهواته.

ولم يقتصر هذا العبث الأخلاقي في واقعة شرب الخمر على نبي الله نوح - عليه السلام - حسب المعتقد الكتابي لليهود والنصارى - بل مالأه عليه أنبياء آخرون، وجاء مقررا في نصوص متعددة من الكتاب المقدس فى زعمهم مما يضيق المجال بذكره، وكما قالوا فإن الإشارة تغني عن العبارة ومن ذلك ما جاء في سفر إشعياء:

١- حزقيال إصحاح ١٨ فقرة ٢١

٢- إرميا إصحاح ٣١ فقرة ٣٠، ٣١.

"ولكن هؤلاء أيضا ضلوا بالخمر و تاهوا بالمسكر الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر ابتلعتهما الخمر تاها من المسكر ضلا في الرؤيا قلقا في القضاء"[١]

وفي سفر أرميا:

" في الأنبياء انسحق قلبي في وسطي ارتخت كل عظامي صرت كانسان سكران، ومثل رجل غلبته الخمر من أجل الرب ومن أجل كلام قدسه"[٢].

المبحث الثاني: شكر النعم بشرب الخمر

وإذا كان من مظاهر شكر الله تعالى على نعمائه التقرب إليه بأنواع الطاعات، والتزلف إليه بالتذلل والإخبات، إلا أن الأمر مختلف تماما في الكتاب المقدس، حيث إن الله هو الذي يتقرب إلى شعبه، ويتودد إليهم، بإنجائهم من كل ضيق، وبعد ذلك يصنع لهم مأدبة تجمع صنوف الأطعمة، ولم ينس بالطبع الخمر المعتقة ليشرب شعب إسرائيل، وينتشي في فرح متواصل طارحا الأحزان جانبا،

تأمل ما جاء في سفر أرميا: "لأن الرب فدى يعقوب وفكه من يد الذي هو أقوى منه. فيأتون ويرنمون في مرتفع صهيون ويجرون إلى جود الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت وعلى أبناء الغنم والبقر وتكون نفسهم كجنة ريا ولا يعودون يذوبون بعد"[٣]

"وتأكل أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره ليحل اسمه فيه عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك لكي تتعلم أن تتقي الرب إلهك كل الأيام"[٤] .

"وأنفق الفضة في كل ما تشته نفسك في البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك وكل هناك أمام الرب إلهك وافرح أنت وبيتك"[٥].

١- إشعياء ٢٣ / ٨.

٢- إرميا ٢٣/ ٩.

٣- إرميا٣١ /١٢-١٣.

٤- سفر التثنية ٢٣/١٤.

٥- سفر التثنية ١٤/ ٢٧.

المبحث الثالث: الخمر من القربان الذي يقدم للرب

ومن التقدمات التي يوصي بها رب إسرائيل أولياءه الخمر تأمل جيدا هذا النص:

" وهذا ما تقدمه على المذبح خروفان حوليان كل يوم دائما..

الخروف الواحد تقدمه صباحا والخروف الثاني تقدمه في العشية.

وعشر من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرض وسكيب ربع الهين * من الخمر للخروف الواحد" [١] .

المبحث الرابع: أول آيات الرب يسوع تحويل الماء خمرا !!

وتابع العهد الجديد سابقه في تمجيد الخمر وإقرارها، فليس أحد العهدين بأولى من الآخر، فتجد أن الرب يسوع يظهر كراماته، ويدلل على ذاته، بإظهار آياته، ومن هذه الآيات البينات، والمعجزات الباهرات في اعتقاد أمة الضلال تحويل الماء إلى خمر، ولتتدبر القصة حسب رواية يوحنا اللاهوتي:

" وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل ** وكانت أم يسوع هناك. ودعي أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس .

ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر.

قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد.

---

* الهين: مكيال للسوائل يساوى ٢١ لُجاً، أى نحو جالونين. وتذكر حاشية الكتاب المقدس (ذي الشواهد) أنه يسع نحو أربع أفق سلطانية (أى نحو خمسة كيلو جرامات). وكان يجب أن يقدم مع خروف المحرقة (صباحاً ومساءً) " عشر من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرض، وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد " (خر وج ٢٩: ٣٨ – ٤٢). انظر دائرة المعارف الكتابية حرف الهاء.

** قانا: كلمة عبرية معناها: "قصب" (أي "غاب" – فهي "قناة" في العربية وهي الرمح الأجوف). وكانت قرية في الجليل لا تُذكر إلا في إنجيل يوحنا، فهناك صنع المسيح أولى معجزاته بتحويل الماء خمراً..وفي أثناء الثورة اليهودية ضد الرومان، التي انتهت بتدمير أورشليم في ٧٠ م.، أصبحت قانا" المقر الرئيسي للدفاع عن الجليل بقيادة يوسيفوس الذي أسره الرومان، وهو الذي أصبح بعد ذلك المؤرخ اليهودي الشهير. وبعد تدمير أورشليم والهيكل بها، أصبحت قانا موطناً لعائلة إلياشيب الكاهن. – دائرة المعارف الكتابية حرف القاف.

١– سفر الخروج ٢٩ / ٣٩، ٤٠ ٤١.

قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه. وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة.

قال لهم يسوع املئوا الأجران ماء فملئوها إلى فوق

ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكا فقدموا.

فلما ذاق رئيس المتكا الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من أين هي لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا دعا رئيس المتكا العريس.

وقال له كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن.

هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه"[١]

هذه هي القصة بتمامها التي يتغنى بها النصارى، ويرفعون بها عقيرتهم، ولست محدثك الآن عن إجابة الابن البارلأمه ورده عليه بهذا الأسلوب " ما لي ولك يا امرأة " فلعله كان يعاملها من منطلق أنه خالقها، فهي إن تك ولدته في مزود البقر.. نعم إلا أنه خلقها ابتداء كيف ؟؟ لا نعرف !!

فهذا هو معتقد النصارى، ونعوذ بالله من الخزلان.

وإنما أن يكون تحويل الماء خمرا هو أول معجزات يسوع، وابتداء آياته، فإنها بئست البداية التي تذهب عقول الناس، وتجعلهم يعيثون في الأرض فسادا، لا سيما وأنه قد ملأ لهم من الدنان والقلال ما يكفيهم الوقت الطويل، إن هذا على حد قول القائل إن أول القصيدة كفر. وإني أتساءل مع كل من له مسكة من عقل:

لماذا الخمر بالذات ؟ ألعله جريا على منوال كتاب العهد القديم في إباحة الخمر وتقريرها ؟ فيعلم الناظر فيهما أنهما يخرجان من جحر واحد ؟

أم لإيهام المخدوعين والسذج من رعاياهم بمدى التطابق بين العهدين لأن يسوع قد أعلنها أنه ما جاء لينقض الناموس بل جاء مكملا ؟

١– يوحنا ص ٢ ف ٣-١٢.

ثم.. لماذا لم يحول المسيح الماء إلى اللبن مثلا ؟ حتى يصيب الفطرة، أم أن الفطرة عندكم منكوسة ؟ وضع في حسبانك أيها القارئ مسألة إيمان التلاميذ بيسوع بعد رؤيتهم لهذه الآية، لأنك ستجد أن يسوع ينفي عنهم الإيمان الصادق بعد ذلك، وما موقفهم من يسوع قبل هذه الآية ؟ وهل إيمانهم به على أنه إله خالق، أم على أنه نبي ورسول ؟ وعلى أي الأحوال هل يستطيع أحد باباوات الكنيسة اليوم أن يخرج إلى الناس يوم القداس، أو في وسائل الإعلام وهو يحتسي نخبه من الخمر المعتقة بناء على أنها من أولى آيات يسوع المسيح ؟

فهذا أولى من أن يحمل على صدره صليبا متدليا من عنق طالما ناء بحمله ؟ حيث إن الخمر تدلل على ربوبيته وقدرته في نظركم، بينما يدلل الصليب على عجزه وإهانته ! أم تراه لا يخالف ما جاء به سيده ومولاه، بيد أنه يخاف أن يذهب الخمر بعقله، فيظهر أمام جمهوره وهو يهذي، لا يدري ما يقول ؟ فإذا كان هذا هو المانع حقا فإني أقول له لا عليك من هذا فإنك في كل الأحوال مغيب العقل فاقده، وأنت تهذي في حال السكر وفي غيره، لأنك تؤمن بما لا تعقل، وتنطق بما لا تفهم، حسبك من ذلك أنها مسلمات. وإذا كنت قد سلمت ناصيتك وعقلك ليوحنا ألم تسأل نفسك يوما على خلوة ما بال الإنجيليين الثلاثة الآخرين متى ومرقس ولوقا لم يذكروا هذه الآية - تحويل الماء خمرا - من قريب أو من بعيد على ما لها من قدر عندكم وعند كاتب الإنجيل يوحنا، حيث جعلها أول آيات يسوع الدالة على ألوهيته، والداعية إلى الإيمان به، وبدهي أن أمرا كهذا لا يمكن تجاهله، أو التغاضي عنه لا سيما من لوقا الذي يفاخر بإنجيله حيث تتبع كل شيء بإتقان من البداية ؟

ثم ما تقول في بولس مقدم أهل الملة عندكم وصاحب المقام العالي والقدم المعلى في كنائسكم ألم تقرأ ما كتب إلى أهل تيموثاوس *:

* تيموثاوس: اسم يوناني معناه " مكرم من الله " أو " عزيز عند الله ": ـــ أحد الذين آمنوا على يد بولس: لقد كان تيموثاوس أحد رفقاء بولس والعاملين معه، ومن الواضح انه أحد الذين تجددوا على يد بولس نفسه، حيث يصفه الرسول بأسوار " ابنه الحبيب والأمين في الرب. كما يكتب إلى تيموثاوس: " الابن الصريح في الإيمان ويخاطبه بالقول: " الابن الحبيب " - دائرة المعارف الكتابية حرف التاء.

" فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل امرأة واحدة صاحيا عاقلا محتشما مضيفا للغرباء صالحا للتعليم.. غير مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامع بالربح القبيح بل حليما غير مخاصم ولا محب للمال " [١]

وهو وإن لم يحرم الخمر على رجال الكهنوت، إلا أنه ألزمهم بعدم إدمانها أي العكوف عليها وملازمتها، بينما تجد في مرقس دعوة صريحة إلى اقتناء الخمر

" وليس أحد يجعل خمرا جديدة في زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق فالخمر تنصب والزقاق تتلف بل يجعلون خمرا جديدة في زقاق جديدة " [٢]

ومالأه على ذلك لوقا مع تغيير بعض ألفاظ الوحي بحسب الملاك الذي يلقن كل واحد

" وليس أحد يجعل خمرا جديدة في زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق فهي تهرق والزقاق تتلف.. بل يجعلون خمرا جديدة في زقاق جديدة فتحفظ جميعا.

وليس أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد لأنه يقول العتيق أطيب " [٣]

وفي ختام هذا الفصل أقول:

- ما الفائدة الأخلاقية التي تعود على القارئ أو المجتمع عموما بقراءة ما يفيد الدعوة إلى السكر فضلا عن إباحتها، لا جرم أنها فوائد جمة !!

بيد أنها فوائد سلبية لا يخفى على العاقل إدراكها، فكيف يكون هذا بأمر الله ؟

- أم كيف يكون ذلك في كتاب إلهي تدعى له القداسة ؟!!

١- رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٣/ ٢، ٣.

٢- مرقس ٢/٢٣.

٣- لوقا ٥/ ٤٠، ٤١.

الفصل الثاني: الزنا في الكتاب المقدس عندهم

وإنما ثنيت بهذه الجريمة – جريمة الزنا – لأنها غالبا ما تترتب على تعاطي الخمور، فالزنا من نتاج السكر، وقد نظرت في نصوص الكتاب المقدس فوجدت أن من الوصايا العشر النهي عن الزنا " لاتزن " [١]

بل النهي عن مجرد اشتهاء امرأة القريب " ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك"[٢]

بل إن يسوع المسيح بالغ في التحذير من مجرد النظرة المحرمة في قوله:

" قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن . وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه.. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم"[٣]

هذا بعض ما يمكن أن يجده الباحث من بقايا الحق الموجود بالكتاب المقدس بعهديه فيما يتعلق بجريمة الزنا، ولا عجب فى هذا !

وإنما العجب أن هذا القدر من النصح والتوجيه قد ضاع سدى في جنبات الكتاب المقدس عريض القفا، مترامي الأطراف، متعدد الصفحات، التي تطفح عباراته بوصف عمليات الزنا ومقدماته وملحقاته، والمغامرات التي تتم من خلاله مما يثير الغرائز الكامنة، ويوقظ الفتن النائمة، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها!!

وتدليلا على ما أقول رأيت أن أسوق هذه الأمثلة في المباحث التالية:

١- سفر الخروج ٢٠/١٥.

٢- سفر التثنية ٥/٢٢.

٣- متى ٥/ ٢٨ – ٣٠.

المبحث الأول: مقدمات الزنا في الكتاب المقدس عندهم

الناظر فى كتاب الله يجد أن القرآن الكريم أشار إلى أن جريمة الزنا تبدأ بخطوات متتابعة هى من نسج إبليس اللعين، ولذلك فإن الله نهى المؤمنين عن اتباع خطوات الشيطان في قوله:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " [١]، ولم يقل ولا تزنوا وإنما قال: " وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً[٢]

وعمل على سد الطرق التي تؤدي إلى جريمة الزنا، ووضع العقاب الرادع لمن وقع بالفعل فيها في الدنيا والآخرة مما هو مبسوط في شريعة الإسلام الغراء.

لكنك عندما تُطالع نصوص الكتاب المقدس تُصاب بخيبة أمل، وأنت تقرأ ما يندى له الجبين خجلا، وما تنبجس منه النفس حياء، وإذا بك ترجع البصر في هذه النصوص من جديد وأنت تفرك عينيك فلربما أصابك النوم فيرتد إليك البصر حسيرا، ثم تنظر غلاف الكتاب الذي بيدك فلربما نسيت أو اختلط عليك الأمر فتناولت كتابا غراميا لكاتب ماجن، أو لمراهق مسعور الشهوة، ولكنك تتأكد أن شيئا من هذا لم يكن، وأنك الآن بالفعل وبالتأكيد إنما تطالع الكتاب المقدس عندهم! وفي هذا المثال أقف بك على ما يثير الغرائز من عبارات الخنا والزنا مما يدفع ويعين على الوقوع في الجريمة النكراء فقد جاء في سفر حزقيال:

" وأخذت أمتعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها " [٣]

١- سورة النور الآية: ٢١.

٢- سورة الإسراء الآية: ٣٢.

٣- حزقيال ١٦/ ١٨.

ومهما كانت تأويلات وتفاسير أهل الكتاب لهذه العبارات، فإنها تذهب سدى مع قبح الألفاظ، وبشاعة التصوير، وهذا النص فيه إشارة إلى الزنا في المعابد، والأخطر من ذلك على الناشئة اتخاذ الوسائل التي تساعد على إفراغ الشهوة، وهو مصطلح عرف حديثا بالعادة السرية، فإنه يشير إلى أن تلك المرأة اتخذت من الذهب والفضة تماثيل على هيئة الرجل للمضاجعة والرذيلة.

ولعله قد بان السر الآن ونحن في العصر الراهن مدى انتشار هذه الوسائل الجنسية بين أوساط المراهقين لا سيما في الطبقات ذات الثراء، مما يعمل على تدمير طاقات الشباب رجالا ونساء، بدنيا وأخلاقيا، ومرجع هذه الوسائل مأخوذة من الكتاب المقدس، أما الغراميات التي لا تبعث على فوران الشهوة والدفع بالمجتمع إلى مستنقع الرذيلة فذلك ما سطره سفر نشيد الإنشاد المنسوب لسليمان النبي ابن داود النبي !! وقد آثرت أن أنقل معظم ما احتوى عليه بين يدي القارئ بوضع تعليقات على النحو التالي:

١- هي: التقبيل والشم أجمل من الخمر !!

" ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر، لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى، اجذبني وراءك فنجري أدخلني الملك إلى حجاله نبتهج و نفرح بك نذكر حبك أكثر من الخمر بالحق يحبونك، أخبرني يا من تحبه نفسي أين ترعى أين تربض عند الظهيرة لماذا أنا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك " (١)

٢- هو: الغزل ووصف الخد والعنق !!

" إن لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعي جداءك عند مساكن الرعاة لقد شبهتك يا حبيبتي بفرس في مركبات فرعون ما أجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة ما دام الملك في مجلسه أفاح ناردیني رائحته " (٢)

(١) سفر نشيد الأنشاد أصحاح ١ / ٢ ــ ٧.

(٢) سفر نشيد الأنشاد أصحاح ١ / ٨ ــ ١٢.

٣- هي: تتخيل الحبيب بين ثدييها !

صرة المر حبيبي لي بين ثديي يبيت

طاقة فاغية حبيبي لي في كروم عين جدي(١)

٤- هو: الغزل بوصف العينين

ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة عيناك حمامتان

٥- هي:تبادله المشاعر مع وصف الفراش

ها أنت جميل يا حبيبي وحلو وسريرنا أخضر

جوائز بيتنا أرز و روافدنا سرو

أنا نرجس شارون سوسنة الأودية

٦- هو: وصف المحبوبة

كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات

٧- هي: تترنح تحت وطأة العشق مع تخيل الحبيب !

كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقي، أدخلني إلى بيت الخمر وعلمه فوقي محبة

أسندوني بأقراص الزبيب أنعشوني بالتفاح فإني مريضة حبا

شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني،

أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء، صوت حبيبي هو ذا آت طافرا على الجبال قافزا على التلال

حبيبي هو شبيه بالظبي أو بغفر الأيائل هو ذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى يوصوص من الشبابيك.

(١) سفر نشيد الأنشاد أصحاح ١ / ١٣ ــ ١٤.

٨- هو: دعوة إلى الخروج خلسة

أجاب حبيبي وقال لي قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي

لأن الشتاء قد مضى والمطر مر وزال

الزهور ظهرت في الأرض بلغ أوان القضب وصوت اليمامة سمع في أرضنا

التينة أخرجت فجها وقعال الكروم تفيح رائحتها قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي

يا حمامتي في محاجئ الصخر في ستر المعاقل أريني وجهك اسمعيني صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل.

٩- هي: تباريح العشق جعلها تخرج باحثة عنه

حبيبي لي و أنا له الراعي بين السوسن

في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته

إني أقوم و أطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي طلبته فما وجدته وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسي

فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقل ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء.

١٠- هو: وصف دقيق للمفاتن

ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد أسنانك كقطيع الجزائز الصادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متئم وليس فيهن عقيم شفتاك كسلكة من القرمز وفمك حلو خدك كفلقة رمانة تحت نقابك عنقك كبرج داود المبني للأسلحة ألف مجن علق عليه كلها أتراس الجبابرة ثدياك كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن كلك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيبة

قد سبيت قلبي يا أختي العروس قد سبيت قلبي بإحدى عينيك بقلادة واحدة من

عنقك.. ما أحسن حبك يا أختي العروس كم محبتك أطيب من الخمر

وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب

شفتاك يا عروس تقطران شهدا تحت لسانك عسل ولبن

ورائحة ثيابك كرائحة لبنان

١١- هي: دعوة الحبيب لقطف الثمار

استيقظي يا ريح الشمال وتعالي يا ريح الجنوب هبي على جنتي فتقطر أطيابها ليأت حبيبي إلى جنته ويأكل ثمره النفيس

١٢- هو: استجابة فورية لداعي الهوى

قد دخلت جنتي يا أختي العروس قطفت مري مع طيبي أكلت شهدي مع عسلي شربت خمري مع لبني كلوا أيها الأصحاب اشربوا واسكروا أيها الأحباء

١٣- هي: أحلام اليقظة

أنا نائمة وقلبي مستيقظ صوت حبيبي قارعا افتحي لي يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي لأن رأسي امتلأ من الطل وقصصي من ندى الليل

قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه قد غسلت رجلي فكيف أوسخهما

حبيبي مد يده من الكوة فأنّت عليه أحشائي

قمت لأفتح لحبيبي ويداي تقطران مرا وأصابعي مر قاطر على مقبض القفل

فتحت لحبيبي لكن حبيبي تحول وعبر نفسي خرجت عندما أدبر طلبته فما وجدته دعوته فما أجابني

وجدني الحرس الطائف في المدينة ضربوني جرحوني حفظة الأسوار رفعوا إزاري عني

أحلفكن يا بنات أورشليم إن وجدتن حبيبي أن تخبرنه بأني مريضة حبا

١٤- بنات أورشليم يسألنها:

ما حبيبك من حبيب أيتها الجميلة بين النساء ؟ .. ما حبيبك من حبيب حتى تحلفينا هكذا ؟ !!

١٥- هي: تجيب بالوصف والغزل:

حبيبي أبيض وأحمر معلم بين ربوة

رأسه ذهب إبريز قصصه مسترسلة حالكة كالغراب، عيناه كالحمام على مجاري المياه مغسولتان باللبن جالستان في وقبيهما

خداه كخميلة الطيب وشفتاه سوسن تقطران مرا مائعا

يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق ساقاه عمودا رخام مؤسسان على قاعدتين من إبريز طلعته كلبنان فتى كالأرز، حلقه حلاوة وكله مشتهيات هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم.

١٦- بنات أورشليم يقدمن المساعدة

أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء أين توجه حبيبك فنطلبه معك ؟

١٧- هي تقول وهي شاردة الذهن

حبيبي نزل إلى جنته إلى خمائل الطيب ليرعى في الجنات ويجمع السوسن

أنا لحبيبي وحبيبي لي الراعي بين السوسن

١٨- هو: يعود من جديد ليستكمل ما قد فاته من أوصاف

أنت جميلة يا حبيبتي كترصة حسنة.. كأورشليم مرهبة.. كجيش بألوية

حولي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني.. شعرك كقطيع المعز الرابض في جلعاد

أسنانك كقطيع نعاج صادرة من الغسل اللواتي كل واحدة متئم

وليس فيها عقيم..

كفلقة رمانة خدك تحت نقابك

هن ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عددواحدة هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأمها هي عقيلة والدتها هي رأتها البنات فطوبتها الملكات والسراري فمدحتها. من هي المشرفة مثل الصباح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية ؟!

ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم !! دوائر فخذيك مثل الحلي صنعة يدي صناع سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج.. بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن ثدياك كخشفتين توأمي ظبية..

عنقك كبرج من عاج عيناك كالبرك في حشبون، أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق، رأسك عليك مثل الكرمل، وشعر رأسك كأرجوان ملك قد أسر بالخصل ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد

قلت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح وحنكك كأجود الخمر لحبيبي السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين.

١٩- هي: رغبات وأمنيات للرذيلة

أنا لحبيبي وإلي اشتياقه تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل، ولنبت في القرى لنبكرن إلى الكروم لننظر هل أزهر الكرم هل تفتح القعال هل نور الرمان هنالك أعطيك حبي، ليتك كأخ لي الراضع ثديي أمي فأجدك في الخارج وأقبلك ولا يخزوننيوأقودك وأدخل بك بيت أمي وهي تعلمني فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رماني، شماله تحت رأسي و يمينه تعانقني أحلفكن يا بنات أورشليم ألا تيقظن و لا تنبهن الحبيب حتى يشاء من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها تحت شجرة التفاح شوقتك هناك خطبت لك أمك هناك خطبت لك والدتك، اجعلني كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك لأن المحبة قوية كالموت الغيرة قاسية كالهاوية لهيبها لهيب نار لظى الرب، مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا.... " [١]

١- راجع بالتفصيل سفر نشيد الأنشاد كاملا.

إلى هنا ونكتفى بنقل النص المقدس فى زعمهم ، فهل ترى أن القارئ قد امتلأ من الحكمة ؟ أم تراه ازداد إيمانا وبرا ؟ بالطبع لا شيء من هذا، وإنما لابد أن يعترف كل ذي عقل أن مثل هذه الألفاظ لا تخرج من سفيه عربيد فضلا عن أن يكون سليمان فضلا أن يكون الله أوحى بذلك، اللهم إلا إذا كان إلها خاصا من صنع القوم، أما الإله الحق فحاشا وكلا أن يكون هذا الفحش من وحيه.

وسؤال طالما تكرر وسيتكرر ما دامت هذه النصوص موجودة يدعى لها القداسة، وهو: هل يستطيع رب أسرة عاقل محترم أن يجتمع بأولاده وبناته وهم في مختلف الأعمار ثم يقرأ متعبدا بسفر نشيد الإنشاد ؟

وكيف يقنع من يجول بذهنه التغزل بوصف النهود والخدود والعيون والشعر والبطون والأفخاذ، أن هذه مجرد رموز استخدمها الرب الإله للوصول إلى أغراض نبيلة ؟ وما هي هذه الأغراض الفاضلة، والقيم النبيلة التي ترمي وتهدف إليها مثل هذه العبارات ؟ بالطبع سيظل المعنى في بطن الكاهن كالمعتاد.

وهل أعوزت الرب الوسائل والأساليب العفيفة للتعبير عن مراده فلجأ إلى هذا الإسفاف الذي لا يليق إلا بالفساق ؟ أم أن معين اللغة قد نضب فلم يكن هناك بد من الاستعانة بقاموس الحب والغرام ؟

ولا يقبل القول بأن مثل هذه الألفاظ لا بأس بها ما دامت في إطار العلاقة الزوجية، ذلك لأن الكتاب المقدس فى نظرهم ليس حكرا على طبقة المتزوجين، بل يتعداهم إلى جميع طبقات المجتمع، هذا لو سلمنا جدلا بصحة القول، فكيف وأن النص صريح في مخاطبة الغرائز وذكر الغراميات والمغامرات ؟!!

ولست أدري الآن معنى لكلام مقدم أهل الضلال المدعو بولس حين يقول:

" كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر " [1]

١- رسالة بولس إلى تيموثاوس ١٦/٣.

هل يصلح مثل الكلام للتدريس في مراحل التعليم المختلفة، وفي ظل اختلاط الطلاب بالطالبات ؟ وهل ننتظر بعد انتهاء الدرس الثمرة المرجوة لكلام الله من تأديب وتهذيب أخلاق المستمعين ؟ أم أن العكس هو الصحيح ؟

ما هو شعور الراهب الذي اعتزل الناس في ديره وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، فأخذ يطالع.. دوائر فخذيك.. وبطنك... إلخ

أتراه ينام بعد ذلك قرير عين هادئ البال ؟ والجواب لا يخفى على أحد.

لقد كتب صحفي أمريكي رواية أدبية غرامية فقضت المحكمة بمنع تداولها لشدة خطورتها على المراهقين، ولكنه أقام دعوى مفادها أنكم إذا أردتم مصادرة هذه الرواية فعليكم بالأحرى مصادرة هذا الكتاب، ونظر الناس فإذا الكتاب هو الكتاب المقدس، وساد صمت رهيب ليقطع هذا الصمت صوت المحكمة بتداول الرواية.

وما ذلك إلا لأنها لا تستطيع مصادرة الكتاب المقدس لما سيسببه من إحراج لمعتنقيه وما دام الأمر كذلك فلتنشر الرواية مؤدية إلى ما تؤدي إليه، من باب ارتكاب أخف الضررين.[1]

يقول ول ديورانت في قصة الحضارة:

" وفي هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدس والتخمين. فقد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصل، تشيد بذكر إشتار وتموز، وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التي دخلت إلى بلاد اليهود مع الإسكندر الأكبر (لأن في هذه الأغاني ألفاظاً مأخوذة من اللغة اليونانية)، أو قد تكون زهرة يهودية ترعرعت في الإسكندرية وقطفتها نفس محررة من ضفاف النيل (وذلك لأن العاشقَين يخاطب أحدهما* الآخر بقوله أخي أو أختي كما يفعل المصريون الأقدمون).

١- انظر: سلسلة مقارنة الأديان (اليهودية) للدكتور/ محمود علي حماية.

ومهما يكن أصلها فإن وجودها في التوراة سر خفي ولكنه سر ساحر جميل. ولسنا ندري كيف غفل- أو تغافل- رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال إشعيا والخطباء " [١]

وصدق برنارد شو وهو يقول عن الكتاب المقدس:

" أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض احفظوه في خزانة مغلقة بالمفتاح"[٢].

* * *

١- قصة الحضارة ول ديورانت ٣/ ٣٨٨ ــ ترجمة / زكى نجيب محمود ــ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ عام ٢٠٠١م.

٢- هل الكتاب المقدس كلام الله، أحمد ديدات، ترجمة: نورة النومان. دار الهجرة. دمشق، ١٤٠٨هـ. ص ٥٤.

المبحث الثاني: زنا المحارم في الكتاب المقدس عندهم

لا يختلف اثنان على جرم مرتكب فاحشة الزنا سواء أكان الفاعل محصنا أم لا، لكن الناظر في صفحات الكتاب المقدس يجد عجبا، فمن عبارات تغص بالغرام والغزل بأسلوب من تملكته الشهوة، إلى ارتكاب الفاحشة بالفعل، ولكن ياللأسف فإن أبطال هذا المبحث جلهم من الأنبياء وأبناء الأنبياء،

وليس زنا بأجانب وإنما زنا بأقرب الناس من المحارم كالأخت وامرأة الأب وامرأة الابن وغير ذلك !!

ولا مجال هنا للقول بالرمزية والإشارات والآن إلى النصوص المقدسة !!:

الحالة الأولى: نسبة الدياثة والزنا بالأخت لإبراهيم.

وإبراهيم هو بمثابة الشجرة الأصل التي تفرع منها الأنبياء، ومعلوم أنه إذا طاب أصل الشيء طابت فروعه، والعكس صحيح !

فلم يسلم أبو الأنبياء إبراهيم من إلصاق الرذائل والنقائص، فقد صوره الكتاب المقدس عندهم أنه رجل ديوث لا يغار على امرأته، فاجتنى من وراء ذلك ألوانا من الخير وقت أن قدم بها إلى مصر يقول النص:

" وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ اَمْرَأَتِهِ:

إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ اَمْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ..فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ اَمْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ. فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوُا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدّاً. وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ.فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْراً بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ. فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ اَمْرَأَةِ أَبْرَامَ..فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا اَمْرَأَتُكَ؟.لِمَاذَا قُلْتَ هِيَ أُخْتِي حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالْآنَ هُوَ ذَا اَمْرَأَتُكَ!

خُذْهَا وَاذْهَبْ!"[١]

ولم تكن هذه المرة الوحيدة التي يتكسب فيها إبراهيم من جمال زوجته سارة ويدل على ذلك النص التالي: " فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبيدا وإماء وأعطاها لإبراهيم ورد إليه سارة امرأته وقال أبيمالك هو ذا ارضي قدامك اسكن في ما حسن في عينيك وقال لسارة إني قد أعطيت أخاك ألفا من الفضة ها هو لك غطاء عين من جهة كل ما عندك وعند كل واحد فأنصفت " [٢]

وصار هذا الخلق المذموم هو الوصف اللازم لإبراهيم وسارة في الحل والترحال ويدل على ذلك هذا النص على لسان إبراهيم: " وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك الذي تصنعين إلي في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي " [٣]

وبقي أن تعلم أن زواج إبراهيم من سارة ليس صحيحا ولا شرعيا لأن سارة تعتبر أخت إبراهيم لأبيه باعترافه هو مؤكدا على ذلك بقوله كما جاء في النص: "وبالحقيقة أيضا هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة"[٤]

وبالحقيقة أيضا يمكن القول بالتأكيد أن زواج الأخ بأخته الشقيقة أو لأب أو لأم لا يجوز في شريعة إبراهيم وهذا هو الدليل من الكتاب المقدس عندهم نفسه:

" عَوْرَةَ أُخْتِكَ بِنْتِ أَبِيكَ أَوْ بِنْتِ أُمِّكَ الْمَوْلُودَةِ فِي الْبَيْتِ أَوِ الْمَوْلُودَةِ خَارِجاً لاَ تَكْشِفْ عَوْرَتَهَا" [٥].

وفاعل ذلك متعرض للعنة الله والناس أجمعين بدليل هذا النص: "مَلْعُونٌ مَنْ يَضْطَجِعُ مَعَ أُخْتِهِ ابْنَةِ أَبِيهِ أَوْ ابْنَةِ أُمِّهِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ" [٦].

١- سفر التكوين ١٢/ ١٠ - ١٩. ٢- سفر التكوين ٢٠/ ١٥-١٧.

٣- سفر التكوين ٢٠/ ١٤. ٤- سفر التكوين ٢٠/ ١٣.

٥- سفر اللاويين ١٨/ ١٠. ٦- سفر التثنية ٢٧/ ٢٢.

وبنفس الصورة الهزلية نسب الكتاب المقدس عندهم إلى إسحق بن إبراهيم ما نسبه من قبل لأبيه من التربح بامرأته رفقة وجني المال بسبب جمالها ومن شابه أباه فما ظلم . يقول النص: " وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم فذهب إسحق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار* وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هي أختي لأنه خاف أن يقول امرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر..

وحدث إذ طالت له الأيام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر وإذا إسحق يلاعب رفقة امرأته، فدعا أبيمالك إسحق وقال إنما هي امرأتك فكيف قلت هي أختي فقال له إسحق لأني قلت لعلي أموت بسببها، فقال أبيمالك ما هذا الذي صنعت بنا لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنبا، فأوصى أبيمالك جميع الشعب قائلا الذي يمس هذا الرجل أو امرأته موتا يموت ..

وزرع إسحق في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مئة ضعف وباركه الرب، فتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم حتى صار عظيما جدا. فكان له مواش من الغنم ومواش من البقر وعبيد كثيرون فحسده الفلسطينيون "[١]

والمتأمل يجد المشابهة إن لم تكن المطابقة التامة في القصتين بين الأب إبراهيم والابن إسحق، فكلاهما يخاف على نفسه القتل إذا علم الناس أن من معه هي امرأته، فيؤثر السلامة ويعرض امرأته للآخرين كلأ مباحا، ويجني من وراء ذلك الخير الوفير، ثم المطابقة في وصف المرأتين سارة ورفقة فكل منهما حسنة المنظر جدا، أو جميلة جدا . وأيضا تصوير تلك المجتمعات على أنها مجتمعات منحلة، معروفة بالرذيلة، ولا تتورع عنها، وما من رقيب ولا حسيب من دين أو قانون، وهو ما لا يكون مطلقا !! اللهم إلا في وحي كتبة الكتاب المقدس، وما تمليه عليهم مخيلاتهم، أو توحي به إليهم شياطينهم.

---

*جرار: هو معناها " دائرة " أو " منطقة "، وهي مدينة في سهل فلسطين إلى الجنوب من غزة على الحدود الجنوبية الغربية من كنعان. وقد تغرب فيها كل من إبراهيم وإسحق حيث اتصلا بأبيمالك ملك جرار (تك ٢٠، ٢٦). دائرة المعارف الكتابية حرف الجيم.

١- سفر التكوين ٢٦/ ٨-١٤.

ثم وعلى افتراض ثبوت ذلك.. ما القيمة الأخلاقية التي تعود على القارئ الكريم من هذه النصوص ؟

أم هو تقعيد وتأصيل للمبدأ الميكافيلي * الذي يقول إن الغاية تبرر الوسيلة ؟

فمن أجل المال والسلامة والعافية يقدم الواحد عرضه للغرباء على طبق من فضة !!

وهو ما عليه كثير من أهل الكتاب اليوم ومن على شاكلتهم، فلا قيمة لأخلاق، ولا اعتبار لأعراض، ولا حرمة لشيء ألبتة إذا كانت هناك ثم مصلحة.

وما عليه الجاسوسية اليهودية اليوم من بذل الأعراض من أجل الحصول على معلومات عن الخصم خير شاهد على ذلك، وأنها مستوحاة من نصوص الكتاب المقدس عندهم.

---

* نسبة إلى نيقولا ميكافيلي فيلسوف سياسي إيطالي عاش ما بين (١٤٦٩- ١٥٢٧م) وهو أول المفكرين السياسيين الأوروبيين، اشتهر بكتابه (الأمير) الذي فيه دعوة صريحة إلى فصل السياسة عن الدين والأخلاق، وجاءت فيه عبارته الشهيرة " لا محل للأخذ بقواعد الأخلاق في أمور الدول"، وهذه العبارة اتخذت قاعدة لدى الأمراء والقواد فاتسمت العلاقات بين الدول بالقسوة والهمجية في حالة الحرب، والخداع والوقيعة في حالة السلم، وكان محور نصيحته تلك أنه يجب على الرئيس أن يتجاهل الاعتبارات الخلقية كلية، ويعتمد على القوة والدهاء، والكذب والغش، واستعمال القوة دون أي شفقة أو رحمة. ويستطرد في نصيحته للأمير: " بأن لا يعتمد على الاحتفاظ بإيمانه ودينه إذا كان ذلك يتعارض مع مصلحته..." !

انظر: كتاب أميرنا وأميرهم، بين ميكافيلي وعمر بن الخطاب للدكتور محمد رواس قلعة جي ص ١٧ مكتبة الهدى بحلب وأيضا:كواشف زيوف ص٣٧٩.

الحالة الثانية: نسبة الزنا إلى يعقوب وجمعه بين الأختين

ويعقوب هذا هو المعروف بإسرائيل والذي يشرف أهل الكتاب بالنسبة إليه وله حظوة في عين الرب الإله حيث يعتبره ابنه البكر فقد ورد في سفر الخروج:

" فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر " [١]

كما أنه حظي بالبركة مرتين أولاهما من أبيه إسحق احتيالا وخداعا [٢]

وأخراهما من الرب الإله غلبة واقتدارا تأمل النص التالي:

" فبقي يعقوب وحده و صارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني.

فقال له ما اسمك فقال يعقوب، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هنا. فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل * قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي"[٣]!!

ومع كل هذه التبريكات لم يكن بمنأى عن السقوط في وحل الرذيلة حسب ما يذكر الكتاب المقدس !! جاء في سفر التكوين:

" وكان للابان ابنتان اسم الكبرى ليئة واسم الصغرى راحيل

وكانت عينا ليئة ضعيفتين وأما راحيل فكانت حسنة الصورة و حسنة المنظر، وأحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى، فقال لابان أن أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها لرجل آخر أقم عندي. فخدم يعقوب براحيل سبع سنين.

١- سفر الخروج ٤/ ٢٢. ٢- انظر القصة كاملة في سفر التكوين إصحاح ٢٧، ٢٨.

* فنيئيل:اسم عبري معناه "وجه الله"، وهو اسم آخر "لفنوئيل" المكان الذي صارع فيه الملاك يعقوب. انظر دائرة المعارف الكتابية – حرف الفاء.

٣- سفر التكوين ٣٢/٢٤- ٣١.

وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها، ثم قال يعقوب للابان أعطني امرأتي لأن أيامي قد كملت فأدخل عليها، فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة، وكان في المساء أنه أخذ ليئة ابنته وأتى بها إليه فدخل عليها،

وأعطى لابان زلفة جاريته لليئة ابنته جارية، وفي الصباح إذا هي ليئة فقال للابان ما هذا الذي صنعت بي أليس براحيل خدمت عندك فلماذا خدعتني، فقال لابان لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر، أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا بالخدمة التي تخدمني أيضا سبع سنين أخر، ففعل يعقوب هكذا فأكمل أسبوع هذه فأعطاه راحيل ابنته زوجة له " [١]

في هذا النص خدع الخال لابان ابن أخته يعقوب فأدخله على ابنته الأخرى ليست محل الاتفاق، ولا موضوع العقد، لأنها البكر !! والعادة تقضي بعدم زواج الصغيرة قبل الكبيرة، وإذا الغاية مصلحة فلا مشاحة في الوسيلة !!

والملاحظ قول لابان " لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر" أنه يتقيد بعادات وتقاليد ولا يستند إلى دين أو شريعة، ولا غرو فإنه عابد أصنام!!

وتطييبا لخاطر العاشق الولهان يعقوب الذي لم يغضب لأجل وقوعه في الزنا، وإنما غضب لكونه غرر به فأعطي ليئة التي كانت تعاني من العشاء الليلي أو العمش أو... ولم يظفر بالشقراء الجميلة راحيل، سارقة أصنام أبيها [٢]

فقد أعطى لابان راحيل أخت ليئة ليعقوب فجمع يعقوب بين الأختين وهو بلا ريب لا يجوز في شريعة يعقوب، فقد جاء في الكتاب المقدس:

" ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها في حياتها" [٣]

وعموما فقد وقع يعقوب في الزنا، عمدا أو خطأ، ولم تنفعه البركات المسروقة من أبيه، وقد رد الصاع إلى خاله لابان عابد الأصنام بعد ذلك خداعا بخداع مستغلا غيابه فساق الغنم وما استطاع حمله هاربا[٤]

وإضافة إلى ما سبق أنه لا يقبل أبدا أن يكون يعقوب قد قضى ليلته كاملة مع ليئة دون أن يكتشف خداع خاله له، وأن العروس الحقيقية محل الاتفاق قد تبدلت بأخرى.

١- سفر التكوين ٢٩/ ١٧-٢٩.
٢- سفر التكوين ٣١/ ٢٠.
٣- سفر اللاويين ١٨/ ١٨.
٤- سفر التكوين ٣١/٢١- ٢٣.

الحالة الثالثة: نسبة الزنا إلى يهوذا ابن يعقوب بكنته

يذكر الكتاب المقدس أن إخوة يوسف أبناء يعقوب باعوا أخاهم يوسف !

وحال رجوعهم نظر يهوذا ابنة رجل كنعاني اسمه شوع فأخذها ودخل عليها، ولست أدري هنا معنى الأخذ، هل تزوجها من أبيها شرعا، أم أخذها عنوة ودخل بها غصبا لا سيما وهو في عصبة من إخوته ؟ وهو ما يعبر عنه دائما لفظ الأخذ في الكتاب المقدس، وتعضده اللغة. على أي الأحوال ليس هذا هو بيت القصيد، فقد أثمر هذا الدخول ليهوذا ثلاثة أولاد وهم بالترتيب: عير، وأونان، وشيلة.

وقد تزوج البكر عير من ثامار، ولكونه شريرا في عين الرب فقد أماته،

فأمر يهوذا ابنه أونان بالزواج من ثامار أرملة عير ليحيى لأخيه المتوفى نسلا، ولكنه كان عاقا لأبيه، متنكرا لأخيه، فأنزل ماءه (المني) على الأرض، لأنه علم أن هذا النسل لن يكون له بل لأخيه، فقبح هذا في عين الرب فأماته أيضا،

ولكون الابن الثالث شيلة لم يزل صغيرا فقد أمر يهوذا كنته ثامار أن ترتدي ثوب الحداد وتنتظر حتى يكبر فيزوجه إياها، وتمضي الأيام متباطئة ثقيلة على ثامار التي لم يحالفها التوفيق في زوجيها السابقين، فلعل الخير في ثالث الأخوين شيلة، بيد أن الرياح جاءت بما لم تشته ثامار، فكبر شيلة ولكنه لم يتقدم لها، ولم يف الشيخ الكبير يهوذا بما قطعه على نفسه لكنته، فما الحيلة إذن والحالة هكذا ؟ أتظل ثامار رهينة الجدران، حبيسة لباس الحداد على أخوين لم يقدما لها نفعا ؟

في هذا الوقت كان يهوذا يخرج بغنمه بعيدا - وكان قد ترمل هو الآخر - فماتت امرأته ابنة شوع لتتركه نهب مراهقة الشيخوخة !! [١]

" فأخبرت ثامار وقيل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنة * ليجز غنمه فخلعت عنها ثياب ترملها و تغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على

١- انظر فيما سبق سفر التكوين أصحاح ٣٥ / ٢٢،وأصحاح ٣٨ / ١٢ ــ ١٩.

* مدينة في الجزء الجنوبي من جبال يهوذا (يش ١٥: ٥٧) ويرجح " كوندر " أنها هي " تبنة "، وهي خرائب تقع على بعد ثمانية أميال غربي بيت لحم ولكنها تبدو أبعد كثيرا إلى الشمال، ولعلها هي " تمنة " المذكورة في سفر التكوين. انظر دائرة المعارف الكتابية - حرف التاء.

طريق تمنة لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة، فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها.

فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كنته فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل علي، فقال إني أرسل جدي معزى من الغنم فقالت هل تعطيني رهنا حتى ترسله، فقال ما الرهن الذي أعطيك فقالت خاتمك و عصابتك وعصاك التي في يدك فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه " [١]

ثم يقول الكتاب المقدس: " و لما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنتك وها هي حبلى أيضا من الزنا فقال يهوذا أخرجوها فتحرق أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة من الرجل الذي هذه له أنا حبلى وقالت حقق لمن الخاتم و العصابة والعصا هذه ؟ فتحققها يهوذا وقال هي أبر مني لأني لم أعطها لشيلة ابني.. وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان " [٢]

والسؤال الآن بعد أن ذكرت لك ما قد سبق:

– من الذي يستحق الحرق يهوذا الذي عق أباه يعقوب لما باع مع إخوته أخاه يوسف وأكل ثمنه ؟ ثم تأخر في إعفاف كنته ثامار الشابة من ابنه شيلة ؟

– ثم لم يحترم شيبته ومقامه وسنه فرمى بنفسه في أحضان امرأة يحسبها زانية؟!

ولا يغيب عنك (حسب سياق النص) ما كان يقاسيه من حالة سكر الشهوة وتملكها منه حتى ليعطي خاتمه وعصاه وعصابته للمرأة الذكية المحتالة، التي وصفها بعد ذلك بأنها بارة، ووالله ما ندري ما مفهوم البر عندكم يا أهل الكتاب !!

– وهل عقوبة الزنا في شريعة يهوذا هي الإحراق بالنار ؟ ولو كانت كذلك فهل هو بمنجى من هذه العقوبة ؟

– أم لأنه القائم بأمر الله فلا تقام عليه الأحكام من باب أتأمرون الناس..؟

– ولماذا لم يقم عليها الحد ووصفها بالبر ؟ أمن أجل أنه الفاعل ؟!!

ولا يخفى أيضا ما كانت تعج به البيئة آنذاك بالبغايا بدليل سؤاله المتكرر للناس على قارعة الطريق أين الزانية ؟ [٣]

١- سفر التكوين ٣٨/ ١٤- ١٨. ٢- سفر التكوين ٣٨/٢٥- ٢٨. ٣- سفر التكوين ٣٨/ ٢٢-٢٣.

وكل ما يمكن أن يبرر به موقف يهوذا في زناه بكنته ثامار، أنه لم يقصد الزنا بها تحديدا ، حيث إنها كانت تغطي وجهها فلم يعرفها، ولم يستبن صوتها، وأيضا فهو حسبها زانية من الطوافات على الطرقات لراغبي المتعة !!

وكأن الزنا بامرأة أصلا زانية متخصصة لا عتب فيه ولا ملام !!

مع أن من المحال عقلا وطبعا وعادة وعرفا، أن يكون يهوذا زنا بثامار دون أن تخلع ثيابها، أو أنها خلعت ثيابها إلا أنها غطت وجهها لأنها تقول بفرضية النقاب، وأنه كان مؤدبا وخلوقا معها فلم يشأ أن يرغمها على خلع النقاب لأنه يؤمن بالحرية الشخصية، أو لعل في شريعته جواز الزنا بالمرأة، وحرمة كشف الوجه !! ويقينا فإن شيئا من ذلك لم يكن، وتبقى التهمة ثابتة على يهوذا أنه زنا بكنته ثامار وهو يعلم حقيقتها ويعرف من تكون، ضاربا بوصايا الرب عرض الحائط حيث جاء في الكتاب المقدس: " عورة كنتك لا تكشف إنها امرأة ابنك لا تكشف عورتها " [١] ومع كل هذه الجرائم المتتالية، والتي كل واحدة هي أكبر من أختها، لم يخبرنا الكتاب المقدس عن عقوبة نزلت بيهوذا، أو حتى بثامار، بل لم ينطق ببنت شفة عن توبتهما ورجوعهما إلى الله ! ولك أن تتخيل أن الابن "عير" عمل الشر في عين الرب فأماته، ثم..الابن "أونان" عمل الشر بعزله عن امرأته فقبح ذلك في عين الرب فأماته، والسؤال الآن لم لم يتحرك غضب الرب على يهوذا جراء ما صنع ؟ أم هل كان فعل يهوذا من القربات التي يحبها الرب ؟

أم أن هناك من الدل والحظوة ليهوذا في عين الرب ما لم يكن لولديه ؟

أم ترى أن ذلك تم بعيدا عن عين الرب، أو على أحسن الافتراضات لعل الرب الإله كان مشغولا ببعض حاجياته !!

وبقي أخي القارئ أن تعلم أن التوأمين الذين حملت بهما ثامار من يهوذا عن طريق زنا المحارم سالف الذكر هما زارح وفارص، وفارص هذا من أجداد يسوع المسيح وهاك الدليل:

١- سفر اللاويين ١٨/ ١٥.

جاء في مطلع إنجيل متى:

١: ١ كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم

١: ٢ إبراهيم ولد إسحق وإسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا و إخوته

١: ٣ و يهوذا ولد فارص وزارح من ثامار وفارص ولد حصرون.. " إلخ [١]

مع أن هناك من النصوص ما يفيد عدم دخول أبناء الزنا في جماعة الرب

" لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب " [٢]

أفترى أنه لا يدخل في جماعة الرب ابن زنا ويكون الرب ذاته ابن زنا ؟!!

وبعد قراءة هذه النصوص التوراتية سالفة الذكر ترى ما البعد الأخلاقي الذي يعود على قارئه ؟ !

ثم.. وما الانطباع النفسي الذي يتركه على نفوس الناشئة من ناحية، وعلى نفوس زوجات الأبناء (الكنات) اللائي كثيرا ما يجمعهن السكن والعيش في مكان واحد مع آباء الأزواج ؟!

وهل من السهل أن تتقبل البيوتات الشريفة، والأسر المحافظة، هذه النصوص هكذا بعجرها وبجرها ؟ مع استحالة تأويلها وصرفها عن ظاهرها ؟ !

١- إنجيل متى ١/ ١- ٣. وما بعده حتى نهاية سلسلة النسب.

٢- سفر التثنية ٢٣/ ٢.

الحالة الرابعة: نسبة الزنا إلى راوبين بن يعقوب بسرية أبيه

إذا كانت الحالة السابقة ليهوذا بن يعقوب، فإن هذه الحالة هي أيضا لابن يعقوب راوبين، فهو على الدرب يسير، وهو هنا يعدو على حرم أبيه، فيقارف الرذيلة مع بلهة سرية يعقوب، حسب ما جاء في النص التالي: "وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا في تلك الأرض أن راوبين ذهب

واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل وكان بنو يعقوب اثني عشر"[١]

هكذا بكل بساطة يزني الابن بسرية أبيه النبي، مستغلا غيابه، متناسيا كالعادة وصايا الرب في قوله: "عورة امرأة أبيك لا تكشف إنها عورة أبيك" [٢]

ضاربا عرض الحائط باللعنات التي تصب فوق رأس من يصنع هذا الصنيع:

(ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه ويقول جميع الشعب آمين)[٣]

بيد أن يعقوب لم يحرك ساكنا، فلم يوجه حتى كلمة عتاب أو توبيخ لهذا الابن الماجن مع أن الغيرة على الأعراض مما أكد عليه الكتاب المقدس فقد جاء في سفر الأمثال:

"لأن الغيرة هي حمية الرجل فلا يشفق في يوم الانتقام.. لا ينظر إلى فدية ما ولا يرضى ولو أكثرت الرشوة" [٤]

كما لم يعلق الرب الإله على هذا الأمر، إما لأنه عنده ليس بذي بال، أو أنه يغض الطرف عن أعمال أبناء الأنبياء !!

١- سفر التكوين ٣٥/٢٣.

٢- سفر اللاويين ١٨/٨.

٣- سفر التثنية ٢٧/ ٢٠.

٤- سفر الأمثال ٦/٣٥،٣٤.

الحالة الخامسة: نسبة الزنا إلى بنتي نبي الله لوط بأبيهما

ويعد لوط من الأنبياء في الكتاب المقدس، وهو ابن أخي إبراهيم، وقد كان قومه قوم سوء حيث اقترفوا من الإثم ما لم يسبقوا إليه، وما لم يلحقوا فيه، فكان من خبرهم ما كان من إهلاك الله لهم، وأنجى الله لوطا وابنتيه من الهول العظيم،

إلى هذا الحد لا اعتراض تقريبا، ولكن ما لا يمكن قبوله أو التسليم به هو ما بعد ذلك في النص التالي: " وصعد لوط من صوغر * وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض..

هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة ودخلت البكر مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلا،

فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه مواب وهو أبو الموابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم " (١)

– هل هذه هي أخلاق بنات الأنبياء كما يصورها الكتاب المقدس ؟!!

---

* صوغر: اسم عبري معناه " صغير "، وهو اسم المدينة التي طلب لوط من الملاك أن يسمح له بالهروب اليها، قائلاً: " هوذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها، وهي صغيرة، أهرب إلى هناك، أليست هي صغيرة، فتحيا نفسي، فقال له ... أسرع اهرب الى هناك، لأني لا استطيع ان افعل شيئاً حتى تجئ إلى هناك. لذلك دعى اسم المدينة صوغر " (تك ١٩: ٢٠ – ٢٣ و ٣٠).

ويرتبط موقع صوغر بمدن الدائرة، وهي سدوم وعمورة وأدمة وصوبيم وصوغر، وكانت سدوم أشهر هذه المدن الخمس. ولا بد أن صوغر كانت في منطقة سدوم، ولكنها لم تدمر مع سائر مدن الدائرة، وذلك بناء على طلب لوط. ويكاد المؤرخون (مثل: يوسيفوس ويوسابيوس وبطليموس) والجغرافيون العرب، يجتمعون على أن هذه المدن كانت تقع عند الطرف الجنوبي للبحر الميت، وأن صوغر كانت تقع عند الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت بالقرب من السهل المقفر المعروف باسم " السبخة " انظر دائرة المعارف الكتابية – حرف الصاد.

١– سفر التكوين ١٩/ ٣٨.

زنا محارم مع الأب، وتواطؤ على الإثم فلم تمنع إحداهما الأخرى، وتفنن في تنفيذ الجريمة مما يدل على التمرس والخبرة، وتقرير وتأكيد للمبدأ الميكافيلي الغاية تبرر الوسيلة ؟!

ويجب أيضا ملاحظة الآتي:

– هل خلت الأرض جميعا من سكانها فلم يبق إلا لوط لإرضاء رغبة هاتين البنتين ؟

– وهل نعتبر هذه دعوة إلى نساء المؤمنين بتعاليم الكتاب المقدس أنها في حالة عدم وجود الزوج الذي يدخل على المرأة كباقي أهل الأرض أن تعمد إلى ذات الأسلوب ؟

– وهل علمتا أنهم سيمكثون في هذه المغارة أبدا ؟ مع أن ديدنهم الحل والترحال؟

– وما شأنهما بإحياء النسل وعمارة الكون ؟ أهذا من اختصاصهما ؟

– وما بال لوط يخرج من صوغر إلى هذه المغارة ولم ينس في ظل خوفه وهلعه أن يصطحب معه الخمر المعتقة ؟

– أتراه كان يتعاطى الخمر أم كان لها محرما ؟

– أم تراه لم يعلم بوجودها في بيته فكانت البنتان تتعاطانها خفية ؟

– أم أنهما صنعتا الخمر في المغارة استخفافا بأب قد شاخ ؟!

– وما فائدة تكرار هذه الألفاظ الخادشة للحياء الباعثة على الشهوة " " واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها "

– وأي خمر هذه التي لا يستفيق صاحبها ولو للحظة ليتبين ما يفعل، لا سيما أن شاربها نبي أنجاه الله من الهلاك الذي حل بقوم يأتون الذكران من العالمين ؟

– ألا تستحق البنتان شيئا من هذا الهلاك ؟

– بل ألم يعتبرا بمصارع القوم ؟

– وهل من شكر المنعم على النجاة ما أقدمتا على فعله بأبيهما الشيخ النبي ؟

- ألا يعد ظلما من رب إسرائيل أن تترك هاتان البنتان دونما عقوبة ؟ أو حتى توجيه ملام ؟

- وهل شعر لوط النبي بعد ذلك بما فعلته به ابنتاه ؟ وهو أمر مؤكد بعد ظهور مخايل الحمل عليهما وما كان رد فعله تجاههما ؟

- أم تراه غض الطرف هو الآخر ؟

- وهل هذه أخلاق من تربى في بيت النبوة ؟

- وكيف بعامة الناس ممن هم دون منزلة الأنبياء ؟

- وما بالك برجل يقرأ هذه القصة وبجواره بناته في سن المراهقة أو غيرها؟

- وأخيرا وليس آخرا ما فائدة ذكر هذه النصوص في كتاب يوصف بالقداسة وهو منها بريء، ويترنم به في المعابد والأديرة للعظة والاعتبار ؟!

كل هذه أسئلة وغيرها كثير تحتاج إلى إجابة وليس ثم مجيب.

* * *

الحالة السادسة: نسبة الزنا إلى ابن داود بأخته

جرت هذه الواقعة في بيت داود النبي الملك، حيث أمنون العاشق الولهان، الذي تفتحت عيناه أول شيء على أخته ثامار، حتى أضناه العشق، ولما ذاق حرارته وناره،وظهرت عليه أعراضه وآثاره،فطن لحاله صاحبه يوناداب، الموصوف بالحكمة في هذا الكتاب، فأشار إليه بالرأي الصواب، أن يستخدم الحيلة والخداع كما استخدمها من قبل الأب [1] وأوهمه أن هذا هو السبيل الوحيد للخلاص من هذا العذاب !

والآن تأمل ما جاء في سفر صموئيل الثاني: "وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود، وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء وعسر في عيني أمنون أن يفعل لها شيئا، وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى أخي داود وكان يوناداب رجلا حكيما جدا، فقال له لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح أما تخبرني فقال له أمنون إني أحب ثامار أخت أبشالوم أخي، فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دع ثامار أختي فتأتي وتطعمني خبزا وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها فاضطجع أمنون وتمارض فجاء الملك ليراه فقال أمنون للملك دع ثامار أختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين فآكل من يدها، فأرسل داود إلى ثامار إلى البيت قائلا اذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاما فذهبت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكا أمامه وخبزت الكعك وأخذت المقلاة وسكبت أمامه فأبى أن يأكل وقال أمنون أخرجوا كل إنسان عني فخرج كل إنسان عنه، ثم قال أمنون لثامار ايتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع، وقدمت له ليأكل فامسكها وقال لها

١- إشارة إلى جريمة داود - حسب الكتاب المقدس فى زعمهم - مع امرأة أوريا الحثي، وسيأتي الحديث عنها لاحقا، وإنما المراد بالقبلية هنا في الترتيب الزماني، لأن الأب سابق على ابنه في هذا.

تعالي اضطجعي معي يا أختي، فقالت له لا يا أخي لا تذلني لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل لا تعمل هذه القباحة أما أنا فأين أذهب بعاري وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جدا حتى إن البغضة التي أبغضها إياها كانت اشد من المحبة التي أحبها إياها وقال لها أمنون قومي انطلقي فقالت له لا سبب هذا الشر بطردك إياي هو أعظم من الآخر الذي عملته بي فلم يشأ أن يسمع لها بل دعا غلامه الذي كان يخدمه وقال اطرد هذه عني خارجا وأقفل الباب وراءها وكان عليها ثوب ملون لأن بنات الملك العذارى كن يلبسن جبات مثل هذه فأخرجها خادمه إلى الخارج وأقفل الباب وراءها فجعلت ثامار رمادا على رأسها ومزقت الثوب الملون الذي عليها ووضعت يدها على رأسها وكانت تذهب صارخة فقال لها أبشالوم أخوها هل كان أمنون أخوك معك فالآن يا أختي اسكتي أخوك هو لا تضعي قلبك على هذا الأمر فأقامت ثامار مستوحشة في بيت أبشالوم أخيها ولما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جدا ولم يكلم أبشالوم أمنون بشر ولا بخير لأن أبشالوم أبغض أمنون من أجل أنه أذل ثامار أخته" [1]

ومن الواضح حسب فهمي لهذه القصة أن أمنون كان معروفا بين أهله بسوء الطوية، وخبث النية، ولم تكن هذه الحادثة هي الأولى من نوعها، بدليل أن أبشالوم قال لأخته ثامار وقد رآها صارخة: " هل كان أمنون أخوك معك فالآن يا أختي اسكتي أخوك هو لا تضعي قلبك على هذا الأمر " ولم ينتظر منها ردا فكأنها قضية مسلم بها لكثرة جرائمه.

ويدلل عليه أيضا أن أمنون بمجرد انقضاء شهوته من أخته قبحت في عينيه جدا حتى إنه أمر بطردها خارجا، وهذا دأب الفساق المتمرسين في هذا الباب !!

١- سفر صموئيل الثاني ١٣/ ١-٢٣

ولست أعلم في الوجود أحط ولا أخس من هذه الأخلاقيات، فالأخ يهوى أخته ويصرح بذلك للآخرين، ولم يحفظ لها عهدا، ولم تشفع لها أخوتها له، ولا خدمتها، ولم تجد توسلتها فتيلا أمام شهوته الجامحة، كما لم تنفع المواعظ ولا غيرها في هذا الموطن وصدق القائل:

إذا كانت الطباع طباع ذيب .... فلا أدب يفيد ولا أديب *

وثمة أمور أخرى تلفت الانتباه، منها:

- أن أمنون أضناه العشق لأخته ثامار ذات الجمال من جهة وكونها عذراء من جهة أخرى، مما صعب عليه أن يفعل لها شيئا، فهل لو لم تكن عذراء كان من السهولة بمكان أن يقارف معها الإثم دون احتياج إلى دهاء ومشورة يوناداب ؟

- ما مفهوم الحكمة عند أهل الكتاب ؟ فإنا نعلم أن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه المناسب الصحيح ! فهل ما فعله يوناداب بابنة عمه ثامار يعد من ضروب الحكمة، وقد وصفه النص التوراتي بأنه حكيم جدا !! أم أن هذا تأصيل للمكر والخداع بالآخرين مهما كانت الوسائل والأساليب ؟

- قول ثامار لأخيها أمنون أن يكلم داود الملك الذي هو أبوهما - فإنه لن يمنع ذلك فهل معنى هذا أن الزواج بالأخت كان مباحا في شريعة داود ؟

والجواب قطعا بالنفي، فما معنى هذا الكلام ؟ اللهم إلا أن يكون منهج داود هو التخفيف على المعسرين، والاستثناء للمضطرين، وأهل المخمصة والغرام والعشق !!

- وأيضا موقف ثامار من طرد أخيها لها عقب قضاء وطره، وأن هذا الطرد أقبح في نظرها وأصعب على نفسها من الزنا، ولست أدري كيف يكون هذا ؟ وما تصنع بالبقاء عنده بعد ذلك ؟ على أية حال فلربما لحاجة في نفس سليلة يعقوب!!

- وقد كان رد الفعل من داود فاترا كالعادة، وهذا لابد أن يكون، بل هو الطبيعي في مثل هذه الأمور، فإن من كان بيته من زجاج لا يرمي الآخرين بالحصا، وداود هو السابق المقدم في هذا الباب، وله قصب السبق في هذا المضمار، فكيف يبكت ابنه على خطيئة هو قد فعل أكبر منها بالأمس ؟!

* ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي ص ١٩٥.

واكتفى الكتاب المقدس عندهم أن ينقل للقارئ أن داود اغتاظ جدا !!

وصدق القائل:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا.... فشيمة أهل البيت الرقص *

وأما أبشالوم فاكتفى ببغض أمنون أخيه،وناتج هذا البغض أنه لم يكلمه بخير ولا بشر، وكالعادة فما من احترام لوصايا الرب الإله والتي منها:

"عَوْرَةَ أُخْتِكَ بِنْتِ أَبِيكَ أَوْ بِنْتِ أُمِّكَ الْمَوْلُودَةِ فِي الْبَيْتِ أَوِ الْمَوْلُودَةِ خَارِجاً لاَ تَكْشِفْ عَوْرَتَهَا." (١)

"عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك" (٢)

ولا اعتبار باللعنات الحالة من السماء على من يفعل الإثم "مَلْعُونٌ مَنْ يَضْطَجِعُ مَعَ أُخْتِهِ ابْنَةِ أَبِيهِ أَوْ ابْنَةِ أُمِّهِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ." (٣)

وذكرني رد الفعل هذا بوقف قرأته عن جنديين ألمانيين إبان الحرب العالمية الثانية، وكان أحدهما متزوجا، فنزل صديق المتزوج هذا أجازة، فحمله المتزوج تحياته وسلامه إلى امرأته، ولكن الصديق الوفي أبلغ التحيات ولكن بطريقته الخاصة وفاء لحق الصداقة، فزنى بامرأة صديقه القابع على الجبهة،

وتنامى الخبر إلى الصديق المتزوج الغر، فغض الطرف ولم يشأ أن يعكر صفو علاقته بصديقه من أجل نزوة عابرة، وخطأ كهذا لا يفسد للود قضية !!

بيد أن هذا الأمر قد تكرر مرة ثانية، فلم يعد في قوس الصبر منزع لدى الزوج الهمام، فاستجمع قوته وقال مخاطبا صديقه الخئون: إن تكرر هذا الأمر منك مرة أخرى فإن صداقتنا ستهتز !! وصدق المثل: تمخض الجبل فولد فأرا

---

* الكشكول: البهاء العاملي ص ١٢٩.

١- سفر اللاويين أصحاح ١٨ / ١١.

٢- سفر اللاويين أصحاح ١٨ / ١١.

٣- سفر التثنية أصحاح ٢٧/ ٢٢.

غير أني ما كنت أجد تأويلا لمثل هذه المواقف وغيرها كثير، فلم وقفت على الكتاب المقدس عرفت السر في كل هذا، أن الغيرة مقتولة تماما عند القوم، ولا عبرة بما يشاع من أن سبب ذلك يرجع إلى أكلهم لحوم الخنازير تلك التي توصف بأنها لا تغار على إناثها، ولكن مرجع السبب إلى أن هذا دأب الأنبياء وأبنائهم وأهليهم – حسب تصوير الكتاب المقدس – وما دام الذين هم في موضع القدوة على هذه الشاكلة فلا عتب على من هم دونهم !!

* * *

الحالة السابعة: نسبة الزنا لأبشالوم بسراري أبيه داود

ولم يكن أبشالوم بن داود بمنأى عن هذا المستنقع الآسن، ففيه سقط أبوه النبي! وعليه درج أخوه أمنون مع أخته ثامار، إذن هي أخلاق نشأ عليها الكبير، وتربى عليها الصغير، فلا عتب ولا ملام، وهو على حد قول القائل:

شنشنة نعرفها من أخزم... وهل تلد الحية إلا الحية ؟! *

وقوله: وينشأ ناشئ الفتيان منا.... على ما كان عوده أبوه

وما دانَ الفتى بحجًا، ولكنْ.. يُعَلِّمُهُ التَدَيّنَ أقرَبُوه **

وفي النص التالي يقوم أبشالوم بطلب النصيحة من بطانته لأمر قد نزل، فقام الناصح الأمين ! بالإشارة عليه أن ينتهز فرصة غياب أبيه داود فيدخل على سراريه ومحظياته فيزني بهن جميعا، ولابد بعد ذلك من التشهير بالخبر حتى يسمع كل شعب إسرائيل، بل إنه زنا بهن أمام جميع الشعب، وهو أمر تستنكف منه الحيوانات، والعلة من ذلك أن يعلم الجميع أن أبشالوم صار مكروها لدى أبيه!

جاء في الكتاب المقدس عندهم: "وقال أبشالوم لاخيتوفل أعطوا مشورة ماذا نفعل ؟ فقال أخيتوفل لأبشالوم ادخل إلى سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت مكروها من أبيك فتتشدد أيدي جميع الذين معك

فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل" [1]

هكذا بكل بساطة يزني الابن بسراري أبيه النبي داود، مستغلا غيابه - تماما بتمام كما حدث من قبل مع راوبين بسرية أبيه يعقوب - متناسيا كالعادة وصايا الرب في قوله: "عورة امرأة أبيك لا تكشف إنها عورة أبيك" [2]

---

* مثل يقال هذا في الولد إذا كانت فيه طبيعة من أبيه انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٨٦/١.

** من ديوان أبي العلاء المعري - قافية الهاء.

١- سفر صموئيل الثاني ١٦/٢١- ٢٣ ٢- سفر اللاويين ١٨/٨.

ضاربا عرض الحائط باللعنات التي تصب فوق رأس من يصنع هذا الصنيع:

"ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه ويقول جميع الشعب آمين" [1]

وهذا النص يكاد يجزم بأن توجها موحدا للكتاب المقدس عندهم، فدائما ينسب إلى من يريد مقارفة الزنا أنه لا ينفرد باتخاذ القرار، بل يأخذ بمبدأ الشورى،

وأن أهل المشورة غالبا ما يوصفون بأنهم حكماء جدا،

وأنهم أيضا لا يدلون على خير أبدا !!

وحسبك من النص الفائت أن أبشالوم مارس الرذيلة مع سراري أبيه داود وهن حد في الكثرة، وقد تم ذلك على السطح، وأمام جميع شعب إسرائيل !

أما كيف يتأتى ذلك، فما إلى تصور ذلك من سبيل، وحسبك أن تقول فاسأل به خبيرا، فإنه ليس راء كمن سمع، ثم إنه ليس في الكتاب المقدس عندهم محال، وإن كان فوق طاقة العقول، لأنه دائما ما يصطدم مع المعقول.

* * *

١- سفر التثنية ٢٧/ ٢٠.

المبحث الثالث: الزنا بغير المحارم

ذكرت في المبحث الفائت حالات زنا المحارم في الكتاب المقدس المنسوبة غالبا إلى الأنبياء وأبنائهم، والآن أذكر من الحالات التي وقع فيها الزنا من غير المحارم، وإن كان أبطال هذه الحالات من كبار أنبياء بني إسرائيل، وقد كنت أنوي أن أبدأ بهذا المبحث على سابقه، بيد أنني رأيت البدأ بالأهم ثم المهم مراعيا قدر المستطاع الترتيب الزمني للأحداث، والآن مع هذه الحالات:

الحالة الأولى: نسبة الزنا إلى ابنة نبي الله يعقوب

جاء بالكتاب المقدس: "وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض فرآها شكيم ابن حمور الحوي رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها، وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة" [١]

هكذا بكل بساطة رجل يرى فتاة فيأخذها دون أن تستغيث وتطلب النجدة مع أنها ليست بمفردها إنما هي مع بنات الأرض حسب تعبير الكتاب المقدس عندهم، ودينة هذه هي ابنة يعقوب أي ابنة نبي وأي نبي إنه من ينتسبون إليه فخرا واعتزازا.

- كيف يرضى الرب إله إسرائيل أن تتلطخ ابنة نبيه بجريمة الزنا والذل ؟ ولم لم ينقذ دينة من براثن هذا الفاجر كما أنقذ من قبل سارة امرأة إبراهيم ؟ [٢] وكما أنقذ امرأة إسحق أيضا [٣]

١- سفر التكوين أصحاح ٣٤ / ١ــ٢.

٢- سفر التكوين ٢٠/ ١-١٨.

٣- سفر التكوين ٢٦/ ٧-١١.

- أم تراها كانت راضية بهذا فلم تستغث ؟ ومن شابه أباه فما ظلم !!
- وأين معالم وآثار البركة التي منحها إسحق لابنه يعقوب ؟
- وما فائدتها إذن إن لم تحفظ الأعراض ؟
- أم تراها بركة عديمة البركة لأنها جاءت عن طريق الغش والختل والخداع، مصحوبة بالكذب والسرقة والتآمر والظلم للأخ الأكبر عيسو بحسب ما ذكر الكتاب المقدس عندهم ؟
- وكيف لابنة نبي أن تخرج دون محرم في أرض هي حديثة عهد بها، غير معهودة ولا مألوفة ولا تعرف طباع أهلها،

فهلا اصطحبت أحد إخوتها ليخرج معها مع كثرتهم ؟

- أم أن هذه كانت رغبتها بدليل أنها خرجت بعد ذلك منفردة أيضا بدليل أن هذا الشاب بعد أن زنى بها يقول النص المقدس عندهم إن نفسه قد تعلقت بها، ثم إنه أحبها ولاطفها، ولا يتأتى هذا إلا بتكرار خروج دينة.

والسؤال الأخير الذي يطرح نفسه هنا ما القيمة الأخلاقية التي يضفيها هذا النص بذكره هذه القصة في نفس القارئ ؟ !

* * *

الحالة الثانية: نسبة الزنا إلى نبي الله داود

وداود هذا مقرب إلى الرب حتى إنه لم ينزل الشر بسليمان لما انحرف إلى معبودات وآلهة نسائه في آخر أيام حياته جبرا لخاطر داود أبيه جاء في سفر الملوك الأول:

"وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتروث إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن و يذبحن لألهتهن فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب، فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك، إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها، على أني لا أمزق منك المملكة كلها بل أعطي سبطا واحدا لابنك لأجل داود عبدي" [١]. كما أن الكتاب المقدس يذكر منزلة داود العالية عند ربه فيقول: "أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً" [٢].

داود هذا.. ابن الله ! وحافظ وصايا الرب يصفه الكتاب المقدس بعد ذلك بأنه في غمرة الفرح بعودة تابوت الرب من أيدي الفلسطينين يتخلى عن وقاره فيرقص أمام الرب عريانا !

١- سفر الملوك الأول ١١/ ٤- ١٤.

٢- سفر صموئيل الثاني ٧/١٤.

جاء في صموئيل الثاني: "وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب وكان داود متنطقا بافود من كتان، فاصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق، ولما دخل تابوت الرب مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب فاحتقرته في قلبها" [١]

وتأكد هذا المعنى أيضا في أخبار الأول: " وكان داود لابسا جبة من كتان وجميع اللاويين حاملين التابوت والمغنون وكننيا رئيس الحمل مع المغنين وكان على داود أفود من كتان فكان جميع إسرائيل يصعدون تابوت عهد الرب بهتاف وبصوت الأصوار والأبواق والصنوج يصوتون بالرباب والعيدان ولما دخل تابوت عهد الرب مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة فرات الملك داود يرقص ويلعب فاحتقرته في قلبها" [٢]

وليت الأمر انتهى عند الرقص والغناء وإنما تعداه إلى الزنا بامرأة قائد جنده ضد الأعداء أوريا الحثي، مستخدما للوصول إلى غايته الدنيئة أخس الأساليب..

والآن مع سفر صموئيل الثاني: "وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود وسال عن المرأة فقال واحد أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى فأرسل داود إلى يواب يقول أرسل إلي أوريا الحثي فأرسل يواب أوريا إلى داود فأتى أوريا إليه فسال داود عن سلامة يواب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته

١- سفر صموئيل الثاني ١٥/ ١٤- ١٧.

٢- سفر أخبار الأيام الأول ١٥/ ٢٧- ٢٩.

فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك ؟ فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يواب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضا وغدا أطلقك فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يواب وأرسله بيد أوريا وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت وكان في محاصرة يواب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه فخرج رجال المدينة وحاربوا يواب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضا فأرسل يواب وأخبر داود بجميع أمور الحرب..... فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب"[١]

إلى هنا وانتهى النص المبدوء بتفقد داود النبي الملك للرعية والمختوم بهذه العبارة الباردة فقبح في عين الرب !

مع أنك تطالع في الكتاب المقدس تناقضا واضحا صريحا في تبكيت مرتكب فاحشة الزنا..جاء في سفر الأمثال:

"هكذا من يدخل على امرأة صاحبه كل من يمسها لا يكون بريئا

أما الزاني بامرأة فعديم العقل المهلك نفسه هو يفعله

ضربا وخزيا يجد وعاره لا يمحى" [٢]

١- سفر صموئيل الثاني ١١/١- ٢٧.

٢- سفر الأمثال ٦/ ٢٩-٣٣.

لكن شيئا من هذا لم يحدث لداود النبي الملك فما هذا التدليل من رب إسرائيل لداود ؟ فرجل مثله في موقع المسئولية ناهيك عن مقام النبوة، وجيشه يقاتل الأعداء في العراء ولا يدري على من تدور الدائرة، ولا همّ عنده إلا في إشباع رغباته الجنسية ولو كانت في الحرام، ولو ضحى في سبيلها بأحد قواد جيشه المخلصين ؟

أي ملك هذا ؟ أم أي نبي هذا ؟ بل أي إنسان ؟!!

إنه قد تجرد لا من مقام النبوة، إنما من مقام الآدمية، وخلع ربقة الإنسانية من عنقه.. فبدلا من أن يكافئ هذا القائد ومن هم على شاكلته، ويخلفه في أهله بخير، عمد إلى امرأته – التي كانت تستحم في مكان عام بحيث يراها الغير – فنزا عليها وأحبلها، ثم احتال على زوجها الأبي ليبيت مع امرأته فلا يفتضح الأمر، وينسب المولود القادم له، لكن مروءة القائد أبت عليه أن يبيت في فراشه يعافس النساء، وتابوت الرب في يد الأعداء، وإخوانه من الجند في العراء ولم تجد الخمر فتيلا في تحقيق ذلك، فدفع أوريا ثمن مروءته غاليا بتدبير داود فقتل في المعركة، وهنا فقد واتت الفرصة وضم المرأة إلى جملة نسائه، من باب جبر الخاطر والمحافظة على نساء الشهداء !

بقي أن تعلم أن هذه المرأة المأخوذة غصبا ولد منها سليمان النبي أيضا والمعدود في جملة أجداد يسوع المسيح.. كما بقيت ملاحظة أن الخمر هنا لم تستطع إرغام أوريا على أن يبيت مع امرأته وهو حلال بل قد يكون واجبا، لأن أوريا لم تكن نفسه مهيأة لفعل هذا لمنافاته المروءة، ولإخلاله بحق الوفاء لقادته وجنده، بينما رأينا منذ قليل أن بنتي لوط أسكرتا أباهما مرتين متعاقبتين في ليلتين وزنا بهما ولم يستفق ولم يعلم بالاضطجاع ولا بالقيام فما الفارق بين الحالتين ؟ هل مرد ذلك إلى فاعلية الخمر ؟ أم إلى تهيئة النفس واستعدادها ؟

مع الأخذ بعين الاعتبار أن أوريا رجل محارب قوي غائب عن امرأته وهي له حلال، ولوط رجل شاخ أي وهن عظمه وكبر سنه، وليس عنده من الدواعي ما لأوريا فضلا عن كون الأمر حرام، فضلا عن كونه من الأنبياء الذين هم على عين الرب الإله !!

الحالة الرابعة: نسبة الزنا إلى داود أيضا

ولم تكن هذه الجريمة نهاية المطاف في سجل الكتاب المقدس بالنسبة لداود فأضاف إليه بلية أخرى، لكن هذه المرة وهو في آخر حياته، منقطعا عن الدنيا مقبلا على الآخرة، والأعمال بالخواتيم، ويرجع أصل هذه الواقعة حيث كبر الملك داود ورقت عظامه، فاحتاج إلى الدفء، لكن أنى له ذلك فما اكتشف الناس بعد وسائل للتدفئة لا سيما للمتقدمين في العمر !!

فتفتقت أذهان البطانة الصالحة على وسيلة من الوسائل الخاصة التي ترجع بمؤشر العمر إلى عهد الصبا والشباب، إنها الفتاة العذراء الجميلة بل رائعة الجمال، وبدأ البحث على قدم وساق لاختيار ملكة الجمال التي تناسب ملك الرذيلة!!

وقد تم ذلك بالفعل.. والآن تأمل ما جاء في سفر الملوك الأول:

"وشاخ الملك داود تقدم في الأيام و كانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ

فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنه فيدفأ سيدنا الملك ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك.. وكانت الفتاة جميلة جدا فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه.. ولكن الملك لم يعرفها" [١]

وإن كان ثم تعليق على هذه الرواية فإني أقول:

– هل عجزت فنون الطب ومخترعات العصر آنذاك عن تدبير وسيلة تدفئة مناسبة للملك غير هذه الوسيلة ؟

– وهل يعد ذلك تشريعا لمن يأتي من بعده إذ أنه النبي القدوة أم أنه أمر خاص بداود، وحيث لا مخصص فيبقى الأمر على إطلاقه ؟

– لماذا يحرص كُتّاب الكتاب المقدس أن يجعل البطانة للملك وأبناء الملك من الحثالة الذين لا يدلون إلا على الفساد ؟

– أو بتعبير العصر الحاضر مجموعة من القوادين ؟

١– سفر الملوك الأول ١/ ١–٤.

– وكيف يقبل سيدنا الملك ! باقتراح خبيث كهذا ؟

– أم أنه صادف قلبا خاليا فتمكنا ؟ !!

بل لعله لم يكن بحاجة إلى الدفء أصلا، وإنما ادعى البرد واشتكى الضر كحيلة من أحاييله، فهو لا جرم متمرس في هذا الفن، مبرز في هذا الباب ؟

– وهو وإن كان شاخ إلا أنه يعاني من أمراض الشيخوخة ومنها في عصره المراهقة المتأخرة، بدليل أنه لم ينطق ببنت شفة، والسكوت أمارة الرضا والقبول!

وبدلا من أن يطلب بنفسه وهو في مثل هذه السن المتقدمة ادعى البرد والزمهرير، وترك لحاشيته فهم المراد، واللبيب بالإشارة يفهم،

– وإلا فأي برد هذا الذي لا تسكن غائلته بالثياب وتسكن بالعذارى ؟!!

– وهل يشترط في المرأة حتى يحصل الدفء لجناب الملك أن تكون عذراء ؟ وليست أي عذراء بل جميلة جدا ؟!!

– أم أن عند هذه من الحرارة والدفء ما لا يتوفر عند غيرها ؟

– وهل سمح الملك لجنوده وحاشيته أن يفتشوا في بيوت جميع إسرائيل، ويهتكوا حرماتهم، ويطلعوا على عوراتهم، مع التحفظ على كيفية معرفة الفتاة عذراء أم لا ؟

– وهل اكتفوا بالسماع من الرواة أم تراهم أرادوا التثبت بعين اليقين ؟!!

– وهل كانت الفتاة بذلك مكرهة ؟ أم مختارة ؟

– وما معنى أن الملك لم يعرفها [١] ؟

– هل يعني أنه زنا بها لا سيما وهي بكل هذه المواصفات، وأنها احتضنته واضطجعت معه، فتعامى وحسبها من نسائه ؟ فالتمسوا له العذر في كونه لم يعرفها؟ وهل يعقل هذا بشر ؟

– ثم.. وما الذي يمنعه من ذلك ؟ قولهم إنه شاخ ! فهذا ليس مانعا ألبتة فقد مر بك غير بعيد أن لوطا شاخ من قبل، ومع ذلك فقد كانت عنـــــده من الكفاءة ما

---

(١) لم يعرفها فى لغة الكتاب المقدس تعنى لم يعاشرها معاشرة الأزواج.

جعله يزني ببنتيه ويحيي منهما نسلا لليلتين على التوالي !!

– أم أنه كان تقيا ورعا فعاملها معاملة الأب لابنته فلم يكشف لها سترا، ولم يهتك لها عرضا ؟ إن هذا أبعد ما يكون عن داود الكتاب المقدس، فهذا الذي ما تورع أن يرتكب الجريمة غصبا مع امرأة قائد جنده وقتله بعد ذلك، يعف اليوم عن أجمل بنات إسرائيل العذراء ؟ هذا ضرب من المحال، ونسج من الخيال !!

وبقي سؤال أخير:

هل لو كانت الفتاة للدفء فقط دون إرادة الزنا ألم يك موجودا لدى داود من نسائه وسراريه وهن كثر ما يجلب هذا الدفء ؟

* * *

الحالة الخامسة: زنا جماعي في أماكن العبادة المقدسة

هذا النموذج عجيب في بابه، لكنه ليس فريدا من نوعه، إنه يوضح الحالة المزرية التي عليها الأماكن المقدسة من الداخل، والتي يمارس فيها الزنا بصورة نظامية، وقليل من يشذ عن القاعدة، ولعل من الإنصاف أن أذكر هنا كتابا يرجع إليه من شاء ليقف على صحة ما أقول، فلسنا نحن المسلمين ممن يرمي التهم جزافا، أو يخوض في الأعراض بغير برهان، أو نتكلم بغير سلطان.

وهذا الكتاب لم يسطره أحد المسلمين فيتهم، وإنما كتبه أب روحي من آباء الكنيسة الغربية، ولم يدخل في الإسلام فيقال إنه كتبه بعد مفارقة دينه، بل مات على كفره، ولم يخرج على سلطان الكنيسة فيقال إنه مشلوح !إنه القس الألماني دي روزا... هذا هو الكاتب، وأما الكتاب فهو التاريخ الأسود للكنيسة – طبعة دار المعارف.

ولكن لماذا أذهب بعيدا حيث كتابات البشر التي قد تخطيء وتصيب – مع أن المعتقد الكنسي يقول بعصمة الباباوات – فهذا هو الكتاب المقدس عندهم يذكر صورة من الزنا الجماعي في باب خيمة الاجتماع المقدسة، ولم يكن هؤلاء الزناة من عوام الناس، بل كانوا أبناء كبير قضاة إسرائيل المدعو " عالي " الذي بلغه الخبر فلم يتخذ من الشريعة التي يحكم بها ما يردع هؤلاء،

بل لم يقبح هذا الفعل صراحة بل وصفه بأنه ليس حسنا

والآن تأمل ما جاء في سفر صموئيل الثاني:

"وشاخ عالي جداً، وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع إسرائيل، وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع. فقال لهم:

لماذا تعملون مثل هذه الأمور ؟ لأني أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب، لا يا بني لأنه ليس حسناً الخبر الذي أسمع" [1]

١– سفر صموئيل الثاني ٢/٢٢ – ٢٤.

وذكرني هذا المشهد بما أورده صاحب الإحياء " أن مالك بن دينار قال كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا، وسقط من سريره فانقطع نخاعه، وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلانا الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقا أبدا أما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلا يا بني مهلا " [١]

وبقطع النظر عن صحة هذه الرواية أو ضعفها، إلا أنها تعضد حالة الفتور العام في قضاة وعلماء إسرائيل حسب روايات الكتاب المقدس من رؤيتهم المنكر، وعدم اكتراثهم له، واهتمامهم به، وكل ما في الأمر مجرد تعليق بارد عدمه خير منه.

* * *

١- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٣/١١.

الحالة السادسة: وصف للخيانة الزوجية

يذكر الكتاب المقدس حكاية امرأة ماجنة خائنة لزوجها، تتغنى وهي في انتظار معشوقها وقد هيأت فراشها بالديباج والكتان، ونثرت العطر في جنبات البيت ليقضيا معا ليلة حتى الصباح بعيدا عن رقابة الزوج الغائب تأمل ما جاء في سفر الأمثال:

" في العشاء في مساء اليوم في حدقة الليل والظلام وإذا بامرأة استقبلته في زي زانية وخبيثة القلب صخابة هي وجامحة في بيتها لا تستقر قدماها تارة في الخارج وأخرى في الشوارع وعند كل زاوية تكمن فأمسكته وقبلته.. أوقحت وجهها وقالت له علي ذبائح السلامة اليوم أوفيت نذوري فلذلك خرجت للقائك لأطلب وجهك حتى أجدك بالديباج فرشت سريري بموشى كتان من مصر عطرت فراشي بمر وعود وقرفة هلم نرتو ودا إلى الصباح نتلذذ بالحب لأن الرجل ليس في البيت ذهب في طريق بعيدة أغوته بكثرة فنونها بملث شفتيها طوحته" [١]

١- سفر الأمثال ٧/١٠-٢١.

انتهى النص المقدس إلى هذا الحد، والقارئ لا يشك للحظة واحدة في أنه يطالع بعينيه مشهدا مجسدا أكمل تجسيد، لحالة من الجنس الفاضح، لامرأة فاجرة، تبدأ هي بعرض نفسها على حبيبها، وتقوم بتقبيله، بعد أن خرجت للقائه، إلا أن كُتّاب الكتاب المقدس زاد الطين بلة، فوصفها بكثرة الفنون الاستعراضية، وكيف طوحت ذاك الحبيب بملث شفتيها ..

- أهذه أخلاق يجب أن يتعلمها المؤمنون من كُتّاب الكتاب المقدس ؟
- ترى ما الفائدة التي تعود على القارئ من قراءة مثل هذا الرجس ؟
- وهل هذه دعوة من طرف خفي يبعث بها كُتّاب الكتاب المقدس إلى كل امرأة خرج بعلها ليكسب لها قوتها ضاربا في الأرض بشق الأنفس، أن تنتهز فرصة غيابه، وتتحين وقت خروجه، لتضرب هي أيضا في الأرض ولكن لا لطلب الرزق الحلال، ولكن لطلب الزنا الحرام، وعلى فراش الزوجية ؟!
- وماذا لو شاع هذا الخلق المرذول في نساء المؤمنين بتعاليم الكتاب المقدس؟
- هل يأمن الرجل أن يخرج من بيته حينئذ فكيف ينال قوت يومه ؟
- أم أنه سيؤثر السلامة، ويغض الطرف عن هذه الهنات اليسيرة ؟
- وما ظنك بامرأة في أوج شبابها تقرأ مثل هذا النص، وقد طال بها الليل واسود جانبه - فهل تخلع عنها برقع الحياء وتبحث عن خليل تلاعبه ؟

لا سيما في غيبة الوازع الإيماني وافتقاد القدوة الصالحة والمثل الأعلى؟

- وأيضا فهي على قناعة بأنها وبدراهم معدودة يغفر لها ما قد سلف !!

المبحث الثالث: أسلوب الكتاب المقدس عندهم في التحذير من الزنا

لا يختلف اثنان على أن التنفير من شيء يكون بذكر أخطاره وأضراره، وتبصير الناس بعيوبه ومثالبه، مما يبغضهم في هذا الصنيع، ولكن لكُتّاب الكتاب المقدس في هذا الباب أسلوب آخر ومنحى عجيب، لا يقول به سفيه فضلا عن عاقل فضل عن الأنبياء، فكيف لو المتحدث هو الله ؟!

ففي الوقت الذي ظن الإنسان أنه وجد ضالته في نصوص تنهى عن الزنا، ولو من طرف خفي، إذا به يصاب بخيبة الأمل، فما حسبه ماء وجده سرابا، على حد قول القائل: سكت دهرا، ونطق كفرا، حيث إن كُتّاب الكتاب المقدس بدأ تحذيره من الزنا، بالوصف والغزل الذي يبعث على الشهوة، ويدفع إلى الزنا، وأي وصف؟!

إن المرأة الأجنبية تتمتع بشفتين لا كالشفاه، إنهما تقطران عسلا، وهما مع ذلك أشد نعومة من الزيت... وتزداد الحسرة وأنت تقف على علة التحذير من الزنا بالمرأة الأجنبية أنه ليس لغرض شرعي أو باعث ديني، وإنما خوفا من ذهاب القوة عند الغرباء، وتبديد الطاقات التي يجب أن تدخر للزوجة، التي بالغ في وصفها فهي الظبية المحبوبة، والوعلة الزاهية ، آمرا بالارتواء من ثدييها، والسكر الدائم بمحبتها !!

والآن مع سفر الأمثال: " لأن شفتي المرأة الأجنبية تقطران عسلا وحنكها أنعم من الزيت... والآن أيها البنون اسمعوا لي ولا ترتدوا عن كلمات فمي ابعد طريقك عنها ولا تقرب إلى باب بيتها لئلا تعطي زهرك لآخرين وسنينك للقاسي لئلا تشبع الأجانب من قوتك وتكون أتعابك في بيت غريب فتنوح في أواخرك عند فناء لحمك و جسمك ..لا تفض ينابيعك إلى الخارج سواقي مياه في الشوارع لتكن لك وحدك وليس لأجانب معك.. ليكن ينبوعك مباركا وافرح بامرأة شبابك الظبية المحبوبة والوعلة الزهية ليروك ثدياها في كل وقت وبمحبتها اسكر دائما.. فلم تفتن يا ابني بأجنبية وتحتضن غريبة" (١)

١- سفر الأمثال ٥/ ٦-١٥.

المبحث الرابع: شريعة الغيرة في الكتاب المقدس عندهم

تتمثل شريعة الغيرة في الكتاب المقدس في أن الرجل الزوج لو ارتاب في شأن امرأته بأنه تخونه مع غيره، فكل ما عليه فعله هو أن يأتي بقربان معلوم، ويقدمه إلى الكاهن، والذي بدوره يقوم بإيقاف المرأة الزوجة محل الاتهام أمام الرب، ثم يقوم بكشف رأسها، ويجعل في يدها القربان، بينما في يده هو ماء اللعنة المر، ويستحلفها إن كانت خانت فراش زوجها أولا..

ثم تشرب ماء اللعنة المر هذا فإن كانت بريئة لم تصب بأذى، وكان منها الولد، وإلا ورمت بطنها، وسقطت فخذها !

والآن مع النص حسب الكتاب المقدس عندهم:

"وكلم الرب موسى قائلا: كلم بني إسرائيل وقل لهم إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة واضطجع معها رجل اضطجاع زرع وأخفي ذلك عن عيني رجلها واستترت وهي نجسة وليس شاهد عليها وهي لم تؤخذ فاعتراه روح الغيرة وغار على امرأته وهي نجسة أو اعتراه روح الغيرة وغار على امرأته وهي ليست نجسة.. يأتي الرجل بامرأته إلى الكاهن ويأتي بقربانها معها عشر الإيفة * من طحين شعير لا يصب عليه زيتا ولا يجعل عليه لبانا لأنه تقدمة غيرة تقدمة تذكار تذكر ذنبا فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب ويأخذ الكاهن ماء مقدسا في إناء خزف ويأخذ الكاهن من الغبار الذي في أرض المسكن ويجعل في الماء ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب ويكشف رأس المرأة ويجعل في يديها تقدمة التذكار التي هي تقدمة الغيرة وفي يد الكاهن يكون ماء اللعنة المر ويستحلف الكاهن المرأة ويقول لها إن كان لم يضطجع معك رجل وإن كنت لم تزيغي إلى نجاسة من تحت رجلك فكوني بريئة من ماء اللعنة هذا المر ولكن إن كنت قد زغت من تحت رجلك وتنجست وجعل معك رجل غير رجلك مضجعه

* الإيفة: مكيال يسع كيلة وهي تعادل "البث" في مكاييل السوائل وكانت تكال بها الحبوب وما شابه ذلك. كما كانت تستخدم كمجرد وعاء) انظر دائرة المعارف الكتابية – حرف الألف.

يستحلف الكاهن المرأة بحلف اللعنة ويقول الكاهن للمرأة يجعلك الرب لعنة وحلفا بين شعبك بأن يجعل الرب فخذك ساقطة وبطنك وارما

ويدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك لورم البطن ولإسقاط الفخذ فتقول المرأة آمين آمين ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب ثم يمحوها في الماء المر ويسقي المرأة ماء اللعنة المر فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة ويأخذ الكاهن من يد المرأة تقدمة الغيرة ويردد التقدمة أمام الرب ويقدمها إلى المذبح ويقبض الكاهن من التقدمة تذكارها ويوقده على المذبح وبعد ذلك يسقي المرأة الماء ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجست وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة فيودم بطنها وتسقط فخذها فتصير المرأة لعنة في وسط شعبها وإن لم تكن المرأة قد تنجست بل كانت طاهرة تتبرأ وتحبل بزرع .

هذه شريعة الغيرة إذا زاغت امرأة من تحت رجلها وتنجست أو إذا اعترى رجلا روح غيرة فغار على امرأته يوقف المرأة أمام الرب ويعمل لها الكاهن كل هذه الشريعة فيتبرأ الرجل من الذنب وتلك المرأة تحمل ذنبها" [١]

وإن كان ثم تعليق على هذا النص فإني أقول:

– هل هذه هي العقوبة المقررة شرعا على تلك المرأة التي ارتكبت بالفعل جريمة الزنا وهي محصنة ؟ كل ما في الأمر أن ترم بطنها، ويسقط فخذها ؟

– ثم في حال البراءة من هذا الاتهام ما العقوبة والإثم الذي يحيق بالزوج الذي رمى امرأته بغير برهان ؟

– وهل مكافأة المرأة حال ثبوت براءتها أن تحبل بزرع ؟

– فما الحيلة إن كانت طاعنة في السن بحيث لا يتأتى منها الولد ؟

– أم كيف بها لو كانت عقيما أصلا لا تلد ؟

١– سفر العدد ٥/١١– ٣١.

- وما الحكمة في أن يقوم الكاهن بكشف رأس المرأة محل الاتهام ؟
- وماذا لو كان شعرها مما يستنطق الأفواه تسبيحا لجماله وروعته ؟
- وهل في شريعة الرب الإله جواز اطلاع الكهان على شعور النساء ؟

* * *

المبحث الخامس تشبيهات الكتاب المقدس مبنية على الدعارة والزنا

فلما أراد كُتّاب الكتاب المقدس أن يجروا بعض التشبيهات التى تُقرب الحقائق للعقول لم يدُر فى خلدهم إلا الزنا والدعارة وذلك واضح فى كثير من تشبيهات الكتاب المقدس وأكتفى هنا بذكر تشبيهين:.

التشبيه الأول: تشبيه مدينة أورشليم بفتاة داعرة.

أراد كُتّاب الكتاب المقدس أن يشبهوا أورشليم * حال نفورها وتمردها عن سماع كلام الرب الإله فلم يجد لها تشبيها يناسب طبيعتها إلا بفتاة داعرة ماجنة، وبالغ في وصف هذه الدعارة وذياك المجون إلى درجة تصيب بالغثيان، لذوي النفوس الصحيحة، في الوقت ذاته تبعث على الشهوة والرذيلة لذوي النفوس المريضة، والقلوب المعتلة وذلك من خلال تشبيهين تأمل أولهما في النص التالي:

"جعلتك ربوة كنبات الحقل فربوت و كبرت وبلغت زينة الأزيان نهد ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية"[١]

---

* أورشليم: معنى أورشليم: ليس هناك رأى قاطع فيما يختص بمعنى الاسم الأصلى، ولكن أقدم الصور المعروفة للاسم وهى " أورو – سا– ليم " قد اعتبره الكثيرون أنه يعنى إما "مدينة السلام" ــو " مدينة (الإله) سالم ". ولكن مفسرين آخرين يعتبرونه اسماً من أصل عبري يعنى " امتلاك السلام " أو " أساس السلام "، ومن سخريات التاريخ، أن مدينة لم تر إلا القليل من السلام عبر تاريخها الطويل، والتى من أجل الاستيلاء عليها أريقت أنهار من الدماء، يمكن أن يكون لاسمها مثل هذا المعنى.انظر دائرة المعارف الكتابية – حرف الألف.

١– سفر حزقيال ١٦/٧.

هل كان من اللازم أن يصف الثديين، وأي شعر هذا الذي نبت ؟ وقطعا فليس شعر الرأس، فلتذهب النفس فيه كل مذهب لتستقر حيث هو، وما فائدة التكرار في قوله: عريانة وعارية ؟

ثم يقول:"فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك وحلفت لك ودخلت معك في عهد يقول السيد الرب فصرت لي فحممتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتك بالزيت.

وألبستك مطرزة ونعلتك بالتخس * * وأزرتك بالكتان وكسوتك بزا

وحليتك بالحلي فوضعت أسورة في يديك وطوقا في عنقك

ووضعت خزامة في أنفك وأقراطا في أذنيك وتاج جمال على رأسك

فتحليت بالذهب والفضة ولباسك الكتان والبز والمطرز

وأكلت السميذ والعسل والزيت وجملت جدا جدا فصلحت لمملكة

وخرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنه كان كاملا ببهائي الذي جعلته عليك يقول السيد الرب" [١].

وهنا يصف الرب أنه تحنن على هذه العريانة العارية وكانت قد نضجت واستوت على سوقها، وصلحت للزواج فاختارها له زوجا، وبناء عليه فقد سترها وألقى عليها ذيل ثوبه وباقي مراسم الزواج على طريقة السيد الرب !!

** كلمة " تخس " العربية قريبة جدا من كلمه " تاحاش " العبرية، وهى تطلق على الدلفين أو على خنزير البحر أو على الفقمة. ويقول " تريسترام " أنها تطلق أيضاً على الاطوم. وقد أيد الرحالة في العصر الحديث قول جيسينيوس بأن عرب سيناء كانوا ينتعلون جلد الاطوم وهو ما نجده في عبارة ".. نعلتك بالتخس " (حزقيال ١٦: ١٠). انظر دائرة المعارف الكتابية- حرف التاء.

١- سفر حزقيال ١٦/٨-١٤.

ولا أرى هذه الطقوس إلا مأخوذة من الأساطير الوثنية القديمة، التي أدخلها كتاب الكتاب المقدس !!

ثم يقول النص:

"فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك وسكبت زناك على كل عابر فكان له..

وأخذت من ثيابك وصنعت لنفسك مرتفعات موشاة وزنيت عليها أمر لم يأت ولم يكن.

وأخذت أمتعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك

وصنعت لنفسك صور ذكور و زنيت بها

وأخذت ثيابك المطرزة وغطيتها بها ووضعت أمامها زيتي وبخوري

وخبزي الذي أعطيتك السميذ والزيت والعسل الذي أطعمتك وضعتها أمامها رائحة سرور وهكذا كان يقول السيد الرب وفي كل رجاساتك وزناك لم تذكري أيام صباك إذ كنت عريانة وعارية وكنت مدوسة بدمك" [١]

يوبخ السيد الرب في هذا النص تلك الفتاة والزوجة الخئون التي نسيت أيام الفاقة والعري والشدة، ونسيت ميثاق الزواج بينها وبين الرب، فغرها جمالها، فراحت تزني بكل عابر سبيل، حيث إن المجتمع كله من الزناة، ولم تكتف بالرجال لعلة فيها، فاتخذت من دونهم من حلي الذهب والفضة أشباه الرجال في زمن عز فيه الرجال !!

فاتخذت من هذه التماثيل وسيلة لإرواء شهوتها، إذ لم يفلح في هذا الرجال !!

ثم يقول النص: "أنك بنيت لنفسك قبة وصنعت لنفسك مرتفعة في كل شارع في رأس كل طريق بنيت مرتفعتك ورجست جمالك وفرجت رجليك لكل عابر وأكثرت زناك..

١- سفر حزقيال ١٦/١٥- ٢١.

وزنيت مع جيرانك بني مصر الغلاظ اللحم وزدت في زناك لإغاظتي فها أنا ذا قد مددت يدي عليك ومنعت عنك فريضتك وأسلمتك لمرام مبغضاتك بنات الفلسطينيين اللواتي يخجلن من طريقك الرذيلة وزنيت مع بني أشور إذ كنت لم تشبعي فزنيت بهم ولم تشبعي أيضا وكثرت زناك في أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين وبهذا أيضا لم تشبعي ما أمرض قلبك يقول السيد الرب إذ فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة ببنائك قبتك في رأس كل طريق وصنعتك مرتفعتك في كل شارع ولم تكوني كزانية بل محتقرة الأجرة أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها لكل الزواني يعطون هدية أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك وصار فيك عكس عادة النساء في زناك إذ لم يزن وراءك بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك فصرت بالعكس فلذلك يا زانية اسمعي كلام الرب" [١]

يقول السيد الرب إن هذه الزوجة تركت نفسها لكل ملهوف كلأ مباحا، فهي في كل المرتفعات، وفي رأس كل شارع، وعلى قارعة كل طريق، وقد فتحت بابها على مصراعيه، إن كان ثم مصاريع !!

ولم تشبع أيضا حتى لما زنت ببني مصر الذين هم من هم !!!

جاوزتهم إلى غيرهم، ثم في عتاب رقيق يعاتب السيد الرب زوجته حيث لم تصنع كباقي النساء الزانيات من أنهن يجلبن المال والثراء نتيجة الزنا بأخذ الأجرة، ولكنها هي التي كانت تدفع الأجرة لمن يأتيها تفضلا وتكرما !!

ثم في ختام النص التمثيلي يأتي عقاب الزوج الغيور (السيد الرب) للزوج الخئون (أورشليم) في غاية الغرابة حيث سيسلط عليها كل محبيها الذين تلذذت بهم سلفا، ويقوم بكشف عورتها لهم فيرى الجميع كل عورتها، ولما كان المنطق

١- سفر حزقيال ١٦/ ٢٤ - ٣٤.

يقتضي أن تقول: ذلك ما كنا نبغي، فقد رأى الرب أن يجمع عليها من أبغضتهم حتى يفوت عليها فرصة الاستمتاع بمن تحب !! يقول النص:

"هكذا قال السيد الرب من أجل أنه قد أنفق نحاسك وانكشفت عورتك بزناك بمحبيك وبكل أصنام رجاساتك..

لذلك هاأنذا أجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم فأجمعهم عليك من حولك وأكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك"[١]

وبعد هذا النص التمثيلي ما القيمة الأخلاقية التي تعود على قارئ مثل هذا النص، بل بالحري أن تقول ما مدى الانحطاط الخلقي الذي سيؤدي إليه ؟

– هل أعيت السيد الرب قواميس لغات الأرض فلم يجد من تشبيه لأورشليم إلا هذا التشبيه ؟ وهو العليم بأطواء النفوس وخباياها، وقد ركب الغريزة والشهوة، فكيف يكون كلامه داعيا إليها، مرغبا فيها ؟

هذا ولم تنته بعد خزايا الكتاب المقدس وفضائحه، فلم يزل في الجعبة الكثير، وما هو آت شر مما مضى.

١- سفر حزقيال ١٦/ ٣٦-٣٨ .

التشبيه الثاني: تشبيه مدينة.أهولة وأهوليبة أو السامرة * بفتاة زانية.

يقول النص: "وكان إلي كلام الرب قائلا: يا ابن ادم كان امرأتان ابنتا أم واحدة وزنتا بمصر في صباهما زنتا هناك دغدغت ثديهما وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما واسمها أهولة الكبيرة وأهوليبة أختها وكانتا لي وولدتا بنين وبنات واسماهما السامرة أهولة وأورشليم أهوليبة وزنت أهولة من تحتي وعشقت محبيها آشور الأبطال كلهم شبان شهوة فرسان راكبون الخيل فدفعت لهم عقرها لمختاري بني آشور كلهم وتنجست بكل من عشقتهم بكل أصنامهم ولم تترك زناها من مصر أيضا لأنهم ضاجعوها في صباها وزغزغوا ترائب عذرتها وسكبوا عليها زناهم لذلك سلمتها ليد عشاقها ليد بني آشور الذين عشقتهم هم كشفوا عورتها أخذوا بنيها وبناتها وذبحوها بالسيف فصارت عبرة للنساء وأجروا عليها حكما"[١]

لم يكتف الرب بتشبيه أورشليم بالفتاة الزانية في النص السابق، فأراد أن يجعل لها اسما هو أهوليبة، وضم لها في التشبيه بلدة السامرة والتي أعطاها اسم أهولة وبدأ بالحديث عنهما معا وأنهما مارستا الزنا حال الصبا وهما بمصر، ولم يقتصر على لفظ الزنا فجاء بالوصف السافر بذكر لازمه !!

---

* السامرة اسم عبري معناه " مركز الحارس "وكانت عاصمة مملكة إسرائيل(المملكة الشمالية). موقع السامرة: تتميز مدينة السامرة بموقعها الرائع على أعلى قمة جبل، إلى الشمال من أورشليم بنحو أربعين ميلاً، كما تبعد عن البحر المتوسط بنحو خمسة وعشرين ميلاً. وتكتسى المدينة حلة بهية فى الربيع حيث تتفتح الزهور. وكان ملك السامر يستطيع – عندما يتطلع من شرفة قصره إلى الغرب – أن يرى البحر المتوسط، كما كان ينبسط أمامه الوادي الخصيب المعروف باسم " وادي الشعير " والمؤدي إلى سهل شارون ومنه إلى البحر. انظر دائرة المعارف الكتابية – حرف السين

١– سفر حزقيال ٢٣ /١– ١٠.

ثم أفرد الحديث عن أهولة وكيف أنها خانته ومارست الزنا أيضا مع هؤلاء الشباب من بني آشور الذين امتلئوا قوة وشهوة، وعلة عدم تركها الزنا أنها مرنت عليه بمصر حال كونها صغيرة، وليته اقتصر على هذا بل راح يعيد نفس الألفاظ الخادشة من زغزغة الترائب وسكب المني عليها وغير ذلك !

وكان عقاب الرب لأهولة أنه سلمها لمعشوقيها فذبحوا أبناءها، وكشفوا عورتها لتكون بذلك عبرة لمن يعتبر !!

ولكن لم يعتبر بهذه النهاية الأليمة أقرب الناس لأهولة وهي أختها أهوليبة، فسلكت نفس الطريق، بل زادت عليه، يقول النص:

"فلما رأت أختها أهوليبة ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها وفي زناها أكثر من زنى أختها عشقت بني آشور الولاة والشحن الأبطال اللابسين أفخر لباس فرسانا راكبين الخيل كلهم شبان شهوة فرأيت أنها قد تنجست ولكلتيهما طريق واحدة وزادت زناها ولما نظرت إلى رجال مصورين على الحائط صور الكلدانيين مصورة بمغرة منطقين بمناطق على أحقائهم عمائمهم مسدولة على رؤوسهم كلهم في المنظر رؤساء مركبات شبه بني بابل الكلدانيين أرض ميلادهم عشقتهم عند لمح عينيها إياهم وأرسلت إليهم رسلا إلى أرض الكلدانيين فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها وكشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسي كما جفت نفسي أختها وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمني الخيل وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدي صباك"[١]

١– سفر حزقيال ٢٣ /١١– ٢١.

وهذا النص كسابقه فلم يأت بجديد إلا أنه زاد عليه وصف مذاكير الرجال المعشوقين كمذاكير الحمير، والمني المقذوف كمني الخيل، وهو ما يبعث الاشمئزاز في نفس القارئ المحترم،

– وليت شعري ما المراد بهذا التشبيه العجيب ؟

والتشبيه لا يكون إلا بمعلوم، فهل كل الناس قد أحاطوا علما بهذا الأمر ؟

– وإذا كان الجواب بالنفي فهل هذه دعوة من كُتّاب الكتاب المقدس رجالا ونساء شيبا وشبانا أن يأخذوا أنفسهم بالبحث والتنقيب كل ما رأوا حمارا

حتى يعقلوا مراد السيد الرب، ويفهموا مراده ؟

– وإذا تسنى لهم معرفة ذلك في الحمير فأنى لهم معرفة مني الخيول ؟

– أم هي الدعوة المكشوفة إلى ممارسة الرذيلة حتى مع الحيوانات ؟!!

وختام النص على ما به من إسفاف تركته لطوله يذكر الرب أنه حاق بأهولية ما حاق بأختها من قبل، وأن العلة من ضرب هذا المثل، وذكر هذا التشبيه حتى تتعظ النساء ولا يعملن بعمل أهوله وأهولية،

ويالها من موعظة لو صادفت في القلوب حياة !!

"فأبطل الرذيلة من الأرض فتتأدب جميع النساء ولا يفعلن مثل رذيلتكما"[1]

وكأن الرب ساعة يريد زجر بغايا بني إسرائيل عن الزنا لابد أن يوقع المجتمع كله في وحل الرذيلة !!

* * *

١– سفر حزقيال ٢٣/ ٤٨.

الخاتمة

وبعد: فهذا غيض من فيض، وقطرة من بحر، وصفحة من كتاب، وما أردت الاستقصاء ، ولهذا جعلت عنوان بحثي من التي تفيد التبعيض، والبعض يدل على الكل، وقد ذكرت ما يأتي على قداسة هذا الكتاب من القواعد، وليس هذا راجع إلي، وإنما إلى هؤلاء الذين سطروا بأيديهم هذه السفاهات ونسبوها إلى رب الأرض والسموات، تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا،

وتسامى مقام النبوة عن هذا العبث، وإلا فماذا بقي للمرء من أسوة، وهو يرى أهل القدوة ومن اختارهم الله على عينه بهذه الصورة المشينة التي صورهم بها كتبة الكتاب المقدس " فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ " [البقرة : ٧٩].

وإن نظرة واحدة إلى ما تعانيه المجتمعات الغربية من انحلال، وانهيار أخلاقي ليدرك بما لا يدع مجالا للشك أن مرد ذلك وباعثه إنما هي نصوص الكتاب المقدس التي تحث على الرذيلة بمختلف صورها، من العري وشرب الخمر والزنا بالمحارم وغير المحارم، وقل لي بربك ما الذي يمنع شابا عن معاقرة الخمور وإدمانها وهو يقرأ في الكتاب المقدس عن أنبياء الله السكارى العرايا ؟!

أم أي وازع من خلق أو ضمير ذاك الذي يمنعه من إفراغ شهوته في أي محل حيث ما اتفق وهو يطالع ذلك في كتابه المقدس عن أنبياء الله وإقرار الله لهم ؟!

وإن جاز لي أن أستشهد بفقرات من إنجيل متى في هذا الصدد فلأجل الإلزام فقط.

يقول المسيح: " من ثمارهم تعرفونهم، هل يجتنون من الشوك عنباً، أو من المسك تيناً، هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة،

وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية " (متى ٧/١٦ – ١٧).

وعموما.. فهذه دعوة إلى كل كتابي أن يقف مع نفسه وقفة صادقة بعيدا عن عقدتي الهوى والتقليد، ويمعن النظر في هذه النصوص وغيرها ليدرك مدى الوهم الذي يعيش فيه، ويتدارك أمره بإعلان البراءة من الباطل، ويعلنها مدوية " لا إله إلا الله محمد رسول الله " .

* * *

ثبت بأهم مراجع البحث

١) الكتاب المقدس مختلف الطبعات.

٢) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي - ط مكتبة الإيمان ــ طبعة أولى ــ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٣) إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي - تحقيق د. محمد أحمد ملكاوي ط ١ - دار الحديث

٤) أميرنا وأميرهم، بين ميكافيلي وعمر بن الخطاب للدكتور محمد رواس قلعة جي - مكتبة الهدى بحلب.

٥) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ــ د/ على عبدالواحد وافى ص ١٣ــ ١٦ــ ط نهضة مصر ــ ط ثانية ٢٠٠١م.

٦) دائرة المعارف الكتابية ــ تحرير وليم وهبة ــ طبعة دار الثقافة القاهرة ــ طبعة أولى ــ د. ت.

٧) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ط مكتبة الإيمان ــ طبعة أولى ــ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٨) سلسلة مقارنة الأديان للدكتور/ محمود علي حماية.ط الأمانة بأسيوط.

٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل ــ لابن حزم الظاهري ــ طبعة مكتبة الخانجى القاهرة.

١٠) قصة الحضارة ــ ول ديورانت ــ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب

١١)- محاضرات فى النصرانية ــ الإمام / محمد أبوزهرة ــ ص ١١٠ ــ ١٣٧ ــ ط دار الفكر العربى القاهرة

١٢) المسيح المنتظر وتعاليم التلمود ــ الدكتور محمد علي البار طبعة الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧م)

١٣) - معجم البلدان لياقوت الحموي - دار صادر - بيروت.

١٤) - هل الكتاب المقدس كلام الله، أحمد ديدات، ترجمة: نورة النومان. دار الهجرة. دمشق، ١٤٠٨هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٦٢١
تمهيد	٦٢٣
أهم دواعي الهجوم الشديد على الإسلام اليوم	٦٢٣
تعريف بالكتاب المقدس عندهم	٦٢٦
مشروعية النظر في الكتاب المقدس عندهم	٦٣٢
الفصل الأول: شرب الخمر في الكتاب المقدس عندهم.	٦٣٤
المبحث الأول: نسبة السكر والعري لنوح بشرب الخمر	٦٣٦
المبحث الثاني: شكر النعم بشرب الخم	٦٣٩
المبحث الثالث: الخمر من القربان الذي يقدم للرب	٦٤٠
المبحث الرابع: أول آيات الرب يسوع تحويل الماء خمرا !!	٦٤٠
الفصل الثاني: الزنا في الكتاب المقدس عندهم.	٦٤٤
المبحث الأول: مقدمات الزنا في الكتاب المقدس عندهم	٦٤٥
المبحث الثاني: زنا المحارم في الكتاب المقدس عندهم	٦٥٥
المبحث الثالث: الزنا بغير المحارم	٧٦٧
المبحث الثالث: أسلوب الكتاب المقدس عندهم في التحذير من الزنا	٦٨٩
المبحث الرابع: شريعة الغيرة في الكتاب المقدس عندهم	٦٩٠
المبحث الخامس: التشبيه في الكتاب المقدس عندهم	٦٩٣
الخاتمة	٧٠١
ثبت بأهم مراجع البحث	٧٠٣
فهرس الموضوعات	٧٠٤

***